الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مسك

رواية

إسابيل الليندي

إسماعيل فهد إسماعيل

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L.

بسم الله الرحمن الرحيم

مسكـ.. (رواية) - إسماعيل فهد إسماعيل

لوحة الغلاف: للفنان التشكيلي البحريني عبدالله يوسف

الطبعة الأولى
هـ - 2009 م 1430

ISBN: 978-614-02-0026-5

جميع الحقوق محفوظة

ص.ب: 11882
الرمز البريدي 35159
الدسمة – الكويت
البريد الإلكتروني: info@masaa.info

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L.

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.masaa.info

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: (961-1) 785107 - 785108 – 786233
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 – لبنان
فاكس: (961-1) 786230 - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم - ناشرون ش.م.ل
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو اقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر

مهداة إلى
سعد الجوير
وراء دافع الكتابة ..
إسماعيل

.في الزمن والمكان المناسبين.. بإمكان إنسان ما أنْ يعزل حاله عمّا حوله. يصمت من خارجه
«!؟كيف لك أن تعزلك عن داخلك.. لتصمت هناك»
..ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا -
«!أبدت.. ولم تبخل»
..ويأتيك بالأخبار -
:ينهرك صوتك الداخلي
!!اخرس -
دوي محركات الطائرة البوينغ لا يكاد يصمّ الآذان في مقصورة ركّاب الدرجة الأولى، بالمقابل تُسمع موسيقى كلاسيكية لمن
.شاء الاسترخاء بعيداً عن خدمة تلفزيون الدائرة المغلقة
!من فضلك.. سيّدي -
.المضيفة الشابّة تتنقل برشاقة تحسد عليها في الممر الكائن وسط المقاعد الوثيرة الستة
!؟بماذا أخدمك -
«!!تراها تتوجّه بخطابها إليك»
:لو جاء الرد
!بسكوتك -
.خطواتها آخذة بالابتعاد
«خير الكلام ما لم يُقل»
á á á
تراك جالساً كما المستلقي، فارداً ساقيك على طولها. رأسك يستند إلى طرف النافذة. شعاع الشمس العابر من أعالي
.سماوات بلاد الإغريق يسقط على جانب وجهك، مبقياً جفنيك مطبقين
«تاريخ شخصي موغل في الزمن»
!كنت هنا -
«موغل في الذاكرة»
!لم أكن وحدي -
حوار الذات - في الزمن المغفل - ينغلق الواحد إلى إثنين.. ربّما أكثر. الوضع الأشدّ سوءاً أنْ تجلدك بك، تواصل جلدك، دون
.أنْ تنزّ بطانة جلدك دما
.الذكريات - لمّا تنقطع بنفسك مع نفسك - متواليات عديدة تأخذ برقاب بعضها.. حلقات عنقودية
!!اخرس -
.تخفت موسيقاهم الكلاسيكية رويداً، تتلاشى من الخلفية
..السادة المسافرين -
:صوت كبير مضيفيهم يتردد في مكبّر الصوت
..رجاء ملازمة المقاعد وربط الأحزمة -
«أوان هبوط»
:صدرت همهمات ارتياح عن المقاعد المجاورة. تابع كبير المضيفين
..دقائق قليلة، ثم -
:أكمل خبره. تابع
..درجة الحرارة الحالية -
.أكمل خبره، في حين مال جسد الطائرة جانباً. يلزمها أن تؤدّي دورة محددة في فضاء مدينة أثينا استعداداً للهبوط
..سبق لك أن بكّرت بمغادرة بيتك. في السادسة صباحاً كان الإقلاع من مطار الكويت. أربع ساعات جوّا
«السفر زمن نوعي»
تفتح جفنيك. تتطلّع عبر زجاج النافذة عندك. عيناك - بدءاً - صادفتا مساحات مترامية من غيوم تتدّرج ألوانها ما بين
.الرمادي والأبيض، كان الوقت ضحى ربيعيّا
«للحبّ أوانه.. للحزن بالمثل»
انفلت جسم الطائرة من أسر الغيوم. تبدّت لك السطوح القرميدية في العمق، تحت. تراها مبللة كابية جرّاء التواري الموقوت
.لنور الشمس
«أثينا»

.المكان حضور طاغ
«ردّة الفعل ومن ثمّ الفعل»
:أسير اللحظة. أسير ماذا؟!.. ولا يجديك أنْ تصرخ بك في داخلك
- !!اخرس
«الزمن.. عمر مستعاد»
.في حالات منها تُرهف المشاعر ذاتها بذاتها.. طائر صغير يرفّ بجناحيه داخل قفصه.. صدرك. خفقان القلب
«المكابرة مكابدة مقطّرة»
á á á
.منذ عشرين سنة تحديداً.. كان هنا
«شهر عسل أوّل.. أخير»
.الفصل ربيع أيضاً.. خلو البال من أيّما هموم، وإيمان. الشابة المفعمة حيوية وعشقاً تلوذ به، تكاد تندسّ فيه
- !!الناس هنا إثنين إثنين
:أبدت ملاحظتها. كان الوقت ضحى أيضاً. تابعت متسائلة
- !؟ألأنّه الربيع
:استجاب ضاحكاً. شدّها إليه أكثر. ودّ لو يكاشفها
- !تعالي نتطارح
.كانا يتناوبان عسلهما متسكعين في الأزقة الخلفية للمدينة الهرمة.. ذاك عن زمن مضى
«!؟التخلّي العقلاني أو الغدر.. أيهما»
.الطعنة مواجهة في الصدر، أو مخاتلة من قفا.. لا فرق
- !تعال نفترق
.الأسطح القرميديّة لبيوت أثينا مبللة كابية.. هناك في العمق، وها هو يلوذ بقنوطه. يتحلّب فمه طعم مرارة.. في العمق
«..لمّا يجيء الفرح يجيء مفرداً، لكنّما الأحزان»
.يتذكّرها عندما استمهلته ذات مساء
- !الدي ما أقوله لك
- !كلّه آذان صاغية
.كان ذلك بعد خمس سنوات ونيّف من زواجهما
- !لا أدري كيف أبدأ حديثي لك
.حيرتها تكرّس سحر عينيها
- !فيما يخصّه.. ابدأيه حيث شئت
.ليس هناك ما يقلقه تجاه المرأة التي تعشّقها لدرجة التماهي والتسليم باطمئنان مطلق
«الحبّ أن تباهي به نفسك قبل غيرك»
- !أرجو ألاّ أُفاجئك
:وجف قلبه. التلويح بالمفاجأة مفاجأة بحد ذاتها، عدا عن.. طوال علاقتهما لم تمهّد كأن ترجو. استجمع شتاته
- !؟ما الذي يدور في بالها
.اختصرت ترددها
- ..أنت وجدت ذاتك
:أوشك يقول لها
- .فيها
:تابعت
- .باحترافك للعمل السياسي
- !!لم يفهم القصد
- .أوان بحثي عن ذاتي على طريقتي
.مادت به أرضه
- !؟من يفهم القصد
- !!نفترق أصدقاء
:يذكرها حددت
- !بأقلّ الخسائر
- ..أن يخسرها
- !فسخ ارتباط.. لا غير

..!؟الأرض لا تميد فحسب. الذهن حالة عجز كلّي. ما هي الأسباب الموجبة
«!!شريك بما يخفيه عنك»
:ألحّ عليه تساؤله
!؟أوان بحث الواحد منهما عن ذاته يستلزم فكّ ارتباطه بالثاني -
.ولم يصرّح به
á á á
:سكن جسد الطائرة على أرض المطار. خفتت أصوات محركاتها، ليعلو صوت كبير المضيفين ثانية
..مرحباً بكم في مطار أثينا الدولي.. الرجاء من السادة المسافرين ترانزيت اصطحاب أمتعتهم الشخصيّة -
«اعتيادك - لمّا تسافر وحيداً -.. بلا أمتعة شخصيّة»
،ركّاب الدرجة الأولى - على قلّتهم - سارعوا ببلوغ الباب
«نفاد صبر لزمن ضائع»
.ركّاب الدرجة السياحيّة توافدوا يزحمون بعضهم
«ليس ما يدعوك لمغادرة مقعدك في التو»
.فارق وقت كاف عن موعد إقلاع الطائرة المتوجّهة إلى المقصد.. برلين
!إذا سمحت -
..سمعتها تصدر عن أحدهم مضمّنة انزعاجاً منضبطاً لدى مخاطبته ثانياً على مقربة منه هادفاً للتجاوز وصولاً للباب
.الأمور باعتياديتها. فضولك لم يحفّزك للتطلّع نحو مصدر الصوت، لولا الرائحة العطريّة النفاذة التي استثارت أنفك
«!؟المسك. حضوره. من أين»
:تداعى خيالك، بإحالة عفوية، تذكّر إحدى الشعائر المتصلة بإعداد الميّت للمواراة. سمعت الصوت إيّاه
!سبحان الله -
تطلّعت. رأيته هزيل القامة. بوجه مجدور. ملامح شرق أوسطيّة، غائر الخدّين، بعينين خرزيتين، لحية قصيرة مدببة، شارب محفوف
«لكلّ عالمه»
:لعل الآخر أحسّ بوقع النظرة. تطلّع. عيناه نمّتا عمّا مفاده
!أنا وأنت جلدة واحدة -
«!!لا -»
:احتفظت بردّك لك.. وددت لو تقول
«عالمان متجاوران قسرا -»
..كلاكما لم يبتسم
..إنما المؤمنون إخوة -
.رددها الآخر خافتة بمنحى إدانة موجّهة ضدّ مجهول، صرف نظرته بعدها مواصلاً تزاحمه
«..لو لم تتطلّع ناحيته»
.تنبّهت إلى أنّ المكان باق يتضوّع برائحة المسك
..فضاء مطار أثينا بمواجهتك. السماء غائمة جزئياً. أحكمت زرار ثوبك
«الجو الربيعي بارد إلى حدّ ما»
:وأنت تهم باجتياز باب الطائرة لتهبط سلّمهم المعدني استوقفك أحد مسؤوليهم بلهجة آمرة
!جواز سفرك -
.النبرات الحادّة للصوت أثارت قلقك
«!؟ألأنّك تأخّرت عن غيرك»
.تطلّعت فيه. قسمات وجهه صادمة. أو أراد لها ان تكون كذلك، ملابسه مدنيّة عاديّة
«!استخبارات.. ربّما»
!حاضر -
.امتثلت بأدب. مددت يدك بجواز سفرك
«ضبط الانفعالات أمر واجب، وبعكسه.. لا أحد يجزم»
.فرد مسؤولهم جواز سفرك. ألقى نظرة خاطفة على الصورة الشخصيّة المثبتة، قبل أنْ يتصفّح أوراقه مدققا
«!!حكمة التدقيق هنا.. أعلى سلّم الطائرة»

.حبست زفرة انزعاج كادت تفلت منك
«!في رحلات سابقة لم تصادف مثل هذه المضايقات»
.المسؤول يتصفّح بصبر
«!جواز سفرك دبلوماسي.. حصانة مفترضة، فيما لو كان هذا المعني يدرك فارق التعامل»
«مداراة القلق تقتضي إبداء لا مبالاة تتسم بالأدب»
هدفت لإشغال ذهنك كيفما اتفق. درت بعينيك في أرجاء المطار أمامك. هياكل معدنيّة عملاقة للعديد من طائراتهم تجثم هنا .وهناك. عربة مقطورة محمّلة بالحقائب تدبّ متجهة نحو المنشأة الخاصة باستقبال الركاب
«!!بعد دقائق يُنهي المسافرون إجراءاتهم.. أنت هنا»
طائرة صغيرة بيضاء بدت وكأنّها تنفلت من على مدرج بعيد. ترتفع بمقدمتها، قبل أنْ يضجّ الجوار بهدير محرّكها أثناء .صعودها السريع، لتغيب وراء المدى الغائم
«المطارات الأوربية عامّة أكثر حركة»
.فضاؤهم بمواجهتك
«!سماؤهم - على اتساع رقعتها - خالية من الطيور»
.مسؤولهم مازال يدقق أوراق جواز سفرك
«..حتّى لو كان يهدف لأن يحفظ محتوياته عن ظهر قلب»
انتقلت بنظراتك نحو مهبط السلّم. الباصات المعدّة لنقل الركاب إلى مبنى الاستقبال بدأت تتحرّك مبتعدة، الواحد منها يتبع .سابقه
«!؟مصيرك.. كيف»
.لفت اهتمامك وجود باص صغيرة تكاد تنزوي تحت جناح الطائرة
«!!إجراءات استثنائية»
.الباص الصغيرة بنوافذ مضببة.. في الجوار وقف ثلاثة من عساكرهم، يتسلحون ببنادق آليّة
«..أمورهم.. على ما يبدو»
.التوقّع لا يفضي إلى أيّما استنتاج
«..إن كانت إجراءاتهم احترازية مترتّبة عن اشتباه بنشاطات إرهابيّة محتملة»
.حالك الراهنة في المنأى من دائرة شك مفترضة. أنت - كما يفيد خطّ سفرك - راكب ترانزيت عابر
«أغلب الظن.. سوء فهم، سيضطر هذا الموظف - بكل ما أوتى من تحرّيات - إلى التقدّم باعتذار»
.تنبّهت أمسكت أنّة أوشكت تفلت منك

á á á

لمّا رأيت مسؤولهم ينهي تدقيق جواز سفرك مددت يدك كي تستعيده. تفاجأت بما هو خارج توقّعك
- سنحتفظ به!
.صيغة الجمع مدعّمة بصيغة القرار تعني مواجهة رسميّة
«!!لو تفهم»
:حيرتك واحتجاجك يتآكلانك.. حدّقت في عيني الآخر بمحاولة لحدس ما يدور. سمعته يقول
- إجراء وقتي.
«!تظنّه يهدف لتطويق ردّ فعلك»
- من فضلك!
:قالها وأشار بما معناه
- أمامي!
:وجدت نفسك تردد صاغرا
- حاضر!
.تملّكك إحساس طارئ بالعري
«..أنت بلا»
.جواز سفرك بحوزة مسؤول مجهول لك
«!رهن مزاج أو صدفة»
.منزوع وثيقة السفر. منزوع الهويّة. إن كان على لغتك العربية فهي - جرّاء اعتبارات محسومة عندهم - سبّة

«غريب وسط بيئة طاردة»

.تحاذر باختيار موقع قدميك.. السلّم المعدني والبلل المتخلّف عن مطر ذاهب. صدى وقع خطوات مسؤولهم يتردد خلفك

«!؟إلى أين»

تخللت ثيابك هبّة رياح باردة. رعشة طارئة. بادرت - بحركة عفويّة - ضممت ذراعيك إليك.. الذكرى، مصادفة الظرف .المبهم

á á á

رحلته إلى هنا منذ عشرين سنة خلت عادت استحوذته، هو والأخرى إيمان تتأبط ذراعه. تلبد فيه. كان يعبّ نسمات هواء .أثينا الباردة لرئتيه. يختزنها توقّعاً لملذات غير مسبوقة

«!هو العابر من الفرح نحو فرح قيد الانتظار»

.أن يكون بإنسان يخصّه هو، يخصّه وحده

«!إيمان»

:للذاكرة سلوكها غير المبرر. تختزن تفاصيل تبدو ثانوية مؤهلة للنسيان. كأنه يسمعها في التو

!«عندما أحسّ بالبرد تشتدّ بي الرغبة لأكل «الحلو -

.رددتها إيمان بمنحى البديهي مسبّقة لها بضحكة مستثارة. أخذته صوب كشك لبيع فطائر بالعسل

!لا يشبهها في هذا -

:أجابها منقاداً لها. تطلعت فيه تستفهمه بفضول الأنثى. يقرّب فمه عند أذنها يهمسها

!هو يتزود بالحلو من مصدره الأساسي -

.فهمت عليه قصده.. تعلّقت به أكثر

!حبيبي -

..الحب ظاهرة تستعصي على الإدراك. يسعى إليه حثيثاً لاهفاً. يعايشه، يطنّه آبدا

!يأخذها إلى جبل الأولومب -

!؟متى -

.بعدما ينهيان مطلوبهما -

.كلماته بإحالات شتّى. كانا يعبران باب غرفة فندقهما لحظة وصولهما قادمين من المطار

..لعلّك لا تعني -

.كلماتها بإحالة محددة. لم يتبادر لأيّ منهما أنْ يفتح حقيبته. السرير الوثير إغراء لا يقاوم

!حبيبته -

..لم يمهل أحدهما شريكه فرصة إبداء اعتراض. في حالات السفر يكتسب العشق طعماً مغايرا

إذا سمحت -

.ردها مسؤولهم بصيغة آمرة مترسّماً حدود أدبه. يده تشير باتجاه الباب المفتوح لباصهم الصغرة

.الذهن لم يستجمع شوارده كلّها بعد. الذكرى لمّا تحلّ في اللأوان تمثّل نوعاً من عري آخر غير منتظر

.عساكرهم الثلاثة يراوحون أرجلهم. بنادقهم قيد أكفّهم. ليس استعداداً لإطلاق نار، لكنّه الحضور

«!!قيد اعتقال، أو السبيل إليه»

.مسؤولهم يفسح لك طريق الصعود

«!كل الطرق تؤدي إلى المجهول»

.مجيئك لهنا مع إيمان.. قبل عقدين لم تكن تحمل جواز سفر دبلوماسياً، كذلك لم يكن العربي مشكوكاً بنواياه

«!إرهابي محتمل»

.عيناك تلاحقان مواقع قدميك. مع صعودك باصهم استفزّت أنفك الرائحة الحادّة إيّاها. المسك

«!؟هل هو حساب مصادفة»

الوجه المجدور. اللحية المدببة. شاهدته يحتلّ مقعداً قريباً من الباب، جالساً منتصب الظهر. ساكن الحركة. زامّاً شفتيه بقوّة. .مخفياً عينيه الخرزيتين وراء جفنيه

«!تجنيب مواجهة»

:في البال لو تقول له

!لسنا جلدة واحدة -

:مرورك بمحاذاته. سمعته يغمغم

!لا حول ولا قوّة الاّ بالله العلي العظيم -

«في الواقع الافتراضي تتوحّد مصائر شتّى»

.على مقعد ثان قريب جلس شاب زنجي رياضي الجسد. وجهه المتجهّم يشي بانزعاجه المحاصر
«المعاناة تتوزّع آخرين»
.خيّل لك أنّ ذلك الشاب موّهل لأن ينفلت صارخاً عالياً إحتجاجاً عند أوّل فرصة سانحة
«الفعل. ردّه. مسوغاته»
.رجل ثالث تجاوز ثلاثينياته، أسمر البشرة يجلس في المقعد الأخير. فاجأك بانفراج أساريره لدى رؤيته لك
- حيّاك أستاذ أحمد!
«يصادفك - في الظرف - مواطن كويتي يعرفك بالاسم»
.هامش اعتزاز، يصاحبه ما يشبه الاحتفاء. نمّ فمك عن ابتسامة امتنان. رأيت الآخر يفسح مكاناً لجلوسك إلى جانبه
«وطأة الحدث تصبح أخف»
.حدّقت في الوجه الثلاثيني بمحاولة تذكّر
«لا أظننا سبق التقينا!»
:نشط ذهنك وجد تبريرا
«العمل السياسي - بالإعلام المصاحب - يبيح وجه صاحبه»
- مرحبا!
.تحيّة لا بدّ منها
- أهلاً وسهلا!
:استجابة مرحّبة. أكّد عليها بحرارة الصحبة
- سُعدت بلقائك!
- شكرا..
.غمغمت برضا. جلست جواره. بادر الآخر مدّ كفّه هادفاً لأن يصافح
- أنا سالم..
.الظرف القائم، وبعكسه.. فرصة تبادل حديث أو محاولة استقاء معلومات توحي باهتمام عفوي
«السياسة، لزوم إسباغ صفة الشخصيّة الشعبيّة المتواصلة مع عامّة الناس.. دون تدقيق بانتماءاتهم»
.جلبة صعود العسكريين الثلاثة. توزّعهم واقفين ضمن المساحة المتاحة. أعقبهم صعود مسؤولهم المدني
- جاهزون!
.كلمة معتمدة. عيناه تتنقّلان تتفحّصان وجوه الأربعة الجلوس
«مشروع فرانس.. أم مجرّد إجراءات إحترازيّة؟!»
.رأيت إحدى يدي مسؤولهم تقبض على أكثر من جواز سفر
«من له بحدس ما يبيّته غريم مجهول؟!»

á á á

أن يجهل ما قد يصدر عن شخص غريب عليه أمر وارد.. أمّا والحال مع إنسان يقاسمه زمنه. يحتلّ القلب منه. يعرفه - كما يظن - في المطلق، لدرجة النفاذ تحت الجلد..
.إيمان.. على أيام الدراسة الجامعية، لقاءات أولى - بدت عابرة - غير مقصودة من أيّ.. هي أو هو
معرفة مترتّبة عن زمالة. تحايا أداء واجب، وتبادل نظرات خالية القصد، ريثما تنظيم طلبة الجامعة.. رحلة ترفيهية لجزيرة فيلكا.
.توافد الطلبة مبكرين لعند مسنّة النادي البحري في السالمية حيث مكان رسو السفينة المخصصة
.مناسبتهما تلك يتذكّرها جيّداً بصفتها المفصل الزمني الذي يؤرخ لمجريات علاقتهما.. الما قبل والما بعد
.مناخ الكويت لا يكاد يصادف فصل خريف باعتياديته كما حال بلاد أخرى، وإن صادفه.. كان ذلك استثناءً متأخّرا
صبيحة يوم خميس غائم.. أسبوع أخير من شهر نوفمبر. غالبية ركّاب السفينة طلبة، فإن تحرّكت ضجّوا معايشين احتفائهم ومرحهم بمنأى عن رقابة أساتذة ذوي سحنات متجهّمة.
حالة البحر مدّ، بما يطيل أمد رحلة الذهاب لتستغرق زهاء الساعتين. تطوّع أحد الطلبة غنّى لعوض دوخي. صاحبه آخرون بالتصفيق الموقّع.
فيما يخصّه انتبذ مكاناً غير بعيد عن دفّة السفينة، على السطيحة. سارحاً بنظره مع خط الزبد الفوّار جرّاء دوران بروانة المحرك النفّاث.
- وحدك؟!
..صوتها الأنثوي مضمّناً تساؤلاً يراوح ما بين الفضول والتردد. استدار إليها. واجهته عيناها. لم يسبق لها أن

.كانا إثنين، هو والبحر -
:أجابها. ندّت عنها ضحكة خالها مشوبة إحراجاً. قالت
!تطفّلت عليكما -
..صوتها بنكهة شعر غزلي. لم يسبق لها أن
.صاروا ثلاثة -
حضره ردّه. أفسح مكاناً لوقوفها إلى جانبه. استجابت لبادرته. البحر بمواجهتهما. الزبد يفور أمامهما. سمعها تسأله بواعز مشاركة:
!؟لماذا ابتعادك عنهم -
:الشمس الصباحيّة متوارية وراء غيوم خريفية. لم يتأخّر ردّه على سؤالها
.لأنّه لا يجيد الغناء -
:تطلعت إليه في عينيه كأنّها تسبره، أضاف
.ولا التصفيق على الطريقة الكويتية -
:باغتته أطلقت ضحكة صافية. قالت معترفة
!أنا أيضا -
.تبادل حديث مفصل، في لحظة من زمن صار مفصلا
á á á
.عجلات باصهم الصغيرة تلامس أرض المطار بليونة
«!؟يأخذونكم إلى أين»
:سؤال حائر. صادفه تعقيب مضمّن سخرية مريرة
«!أجدى لهم لو أنّهم كبّلوكم بقيود من عندهم»
:الهواجس تجد مرتعاً لولا تساؤل سالم
!؟يبدو لي - أنّك لم تمرّ بمثل هذه الإجراءات من قبل -
..سمعت عنها -
:صمت قصير. لحقته إضافة
!ما دار في بالي انها معقّدة على هذه الشاكلة -
:أطلق سالم ضحكة خافتة دالّة. قال عن قناعة
!مسألة هيّنة -
«ثقة هذا السالم تترسّخ صوته.. صاحب خبرة، لاشك»
:جاريته قائلا
!أتمنّى ذلك -
:عاد سالم أكّد قناعته
!اطمئن من هذه الناحية -
.تنبّهت إلى أن مسؤولهم يحدجكما بنظرات امتعاض
«!؟..ألأنكما تتحدثان لغة غريبة لا يفهمها؟!.. أم لأن لوائحهم المنظمة»
:وددت لو ترتأي على سالم
!مراعاة الصمت -
.تحوّل مسؤولهم بعينيه إلى الرجل ذي اللحية المدببة. أطال تحديقه الممتعض لوجهه
«!!ربّما أثارته رائحة المسك»
.الأخير باق مطبقاً جفنيه، مكتفياً بتحريك شفتيه بهمهمات خافتة. يدعو، أو يتلو ما تيسّر
«!له أسلوب تصديّه الخاص به»
.الباص الصغيرة. دبيبها الليّن على أرض مطارهم
«رحلة أرضيّة طويلة.. إلاّ إذا كان القصد مصادرة اتخذت طابع. خطف أمني.. ينتهي أمركم بعدها إلى قبو سرّي»
.سالم يصرّ على انتشالك من خيالاتك
.ما نمرّ به الآن.. ليس سوى إجراءات روتينية -
:لا تعقّب فتقول
!إرهاب رسمي -
:سالم يستطرد بمنحى التوضيح
.دأبوا على الأخذ بها.. في المطارات الأوربية ومطارات الولايات المتحدة، منذ حادثة تفجير برجي التجارة.. نيويورك -

.استعنت بيدك ضغطت على ركبة سالم

«!!إشش» -

..همست بها محذّرة. كنتما - سالم وأنت - مكشوفين تحت النظرات الحادة الغاضبة لمسؤولهم

استجاب سالم صاغراً مطلقاً زفرة تسليم. ضجّ الجوار بهدير محرّك طائرة قيد الإقلاع. أعقبه - في اللحظة - صدى رعد تردد .في البعيد. توالى - من ثمّ - نقر خافت على سطح الباص

«!هو المطر»

á á á

:قيل.. والعهدة على الفلكي الكويتي العجيري

!إذا جاء المطر في شهر نوفمبر.. ابشروا بالفقع -

خميسهما ذاك.. بلوغهما مرسى جزيرة فيلكا ضحى. مع تدافع الطلبة للنزول من السفينة برقت سماء الجزيرة. ثوان.. زخّ .المطر. تعالت صيحات الطالبات جرّاء المباغتة، خالجتها ضحكاتهن

إيمان لم تحتف بالمطر بالصيغة المتاحة أنثويّاً. اكتفت رفعت وجهها إلى أعلى. استقبلت الماء الهاطل. تحوّلت بعدها بعينيها .إليه. طالعته بنظرة معبأة استثارة

«!!فعل السحر»

.أمطار الخريف لا تدوم طويلاً. سرعان ما بدأ طلبة الجامعة نشاطاتهم الترفيهية، انقسموا مجموعات متآلفة

هو وإيمان تشكّلا مجموعة قائمة من فردين. استأجرا دراجتين هوائيتين، طفقا يجوبان أزقة الحي الشعبي بمعمار منازله .الضارب في القدم

«هنا المقهى. تخوت خشبية مفروشى بالحصر. غير بعيد عنه مخبز التنور، يليه بائع الباقلاء والنخي»

.توقّفت إيمان عند محل بقالة صغير بدا وكأنّه محفور في الجدار الطيني لأحد البيوت

!عطشانة -

:طلبت من البائع

!عبوة عصير -

.التفتت إليه

!تشرب -

حرّك رأسه بالنفي. استرعت انتباهه أغصان شجرة جهنّمي برزت من وراء سور المنزل. الأوراق ذات ألوان تتراوح ما بين .البنفسجي والأحمر القاني

«!؟ما الذي يمنع»

:دنا من طرف أحد الأغصان. اقتطعه. ليس زهراً، لكنّه يحاكيه. فاجأته إيمان سألته بمنحى الملكية بوضع اليد

!لي -

.تسلّمته منه. بادرت ثبتته على عجلة القيادة أمامها

..تأخّرنا على موعد غدائهم.. يحسن بنا العودة -

لمّا يكون الزمن مفصلاً تبقى تفاصيل لحظاته خبيئة في الذاكرة، مواراة باهتمامات يوميّة ملحّة أو روتينية، لا فرق.. فإن »
«..قُيّض له - بإختياره أو عنوة - لكي يطلّ في داخله انبعثت تلك التفاصيل حيّة نابضة، كأنّها منذ الآن

!أحمد -

.يزدهي باسمه حدّ الانتشاء لمّا تتلفّظه إيمان

!تحت أمرها -

.استجاب بروح الدعابة. كانا في مكتبة الجامعة. مراجع بحوث خاصة بسنة التخرُّج

..يجدر بنا -

.جاء صوتها مهموساً محاذرة سماع آخرين في الجوار. لاذت بصمتها ثانيتين تطلّعت خلالهما في عمق عينيه

«ضبط ردّ الفعل»

:واصلت بمستوى الهمس إيّاه

!أنْ نجد حلاً لعلاقتنا .. -

«!!الحلّ إحالة على مشكلة وليس علاقة»

:لم يراوده قلقه وقتها. نبرة صوتها لا تنمّ عن تربّص. اكتفى تساءل

!؟كيف -

:إجابتها خارج دائرة تساؤله

..تواجدنا معاً طوال الوقت -

:عادت تطلّعت إليه في عينيه تشركه. أضافت
.صرنا مادّة حديث الطلبة .. -
.ابتسم مباهيا
!؟إذن -
:إجابتها خارج دائرة سؤاله
.هم على حق فيما يذهبون إليه -
:وسّع من ابتسامته. كرر كلمته
!؟إذن -
:فجعه ردّها
.نضع حدّاً لارتباطنا -
.استبدالها كلمة حدّ بديلاً لسابقتها.. حل
«!؟مدى جديّتها فيما قالته»
:سألها لاهفاً أو لاهثا
!؟تعنين ألاّ لقاء -
:عاجلته إجابتها عند حدود الأمل المرجو
!أو نلتقي بشكل رسمي -
.الرسمية هنا صيغة ارتباط
«العرض صيغة اقتراح»
:كان يراوح ما بين يقينية حبّه لها وشكه في أنّها تحبّه بالقدر ذاته.. قطعت عليه تردده. قالت
!تتقدّم لخطبتي -
.المرأة الأنثى بالجرأة التي يفتقدها الرجل. لم يبق إلاّ أن يدفع الشك باليقين
:واجهها
.هو يحبّها -
:عيناها تبرقان وجداً واعداً. رغم هذا تجرأ سألها
!؟ماذا عنها -
:هزّه صوتها وهي تهمسه
.أحبّك موت -
.صار المكان غير المكان. الزمان غيره. وجيب القلب داخل الصدر، وطعم الجنّة يتخثّر في الفم
«!السعادة زخم اكتشاف أوّل»
.لا أجمل من بدء التخطيط لاجتياز مرحلة حياة أحادية نحو أخرى ثنائيّة
«عش الزوجيّة»
.إيمان كما عرفها. جرأة مدعّمة بالوعي والتحلّي بالمسؤولية. الصراحة والسعي لبلوغ الهدف دون مراوغة
«..أن يحقق لذاته ولآخر يخصّه جنتهما الأرضية الصغيرة»
اعتماد مبدأ الوضوح التام أسلوباً للتعامل بين إثنين، بصفتهما قطبين متآلفين يخصّان كياناً واحداً. انكشاف الشريك
.لشريكه، لدرجة إمكانية الإطلال على الشخصيّة من باطن
.مرّ عليه وقت بلغت فيه ثقته به ربما أنه خاله مؤهّلاً لمعرفة ما يدور في ذهنها قبل تصريحها به
.إيلاء المسؤولية.. أنْ يسكن إلى الشريك بيقين مطلق. ينام ملء جفنيه يصحو إزاء إيمان كما لم يعرفها
«..تعال نفك» -
á á á
تجاوزت باصهم الصغيرة إحدى بوّاباتهم الرئيسية، انعطفت يمنياً.. يساراً، ريثما وجدت لها منفذاً بين صفّ عربات نقل
أمتعة بدت مهملة، توقّفت قبالة باب جانبي ضيق لا تلحظه العين
!إذا سمحتم يا سادة -
.صوت مسؤولهم، بصيغة الاحترام المصاحبة، لم يلغ هاجس الخوف من المجهول
«!الصبر وحده»
.مع اجتياز الباب الضيّق اضطرّ الشاب الزنجي لأن ينحني برأسه جرّاء الامتداد الفارع لقامته
!من هنا -
:حدد مسؤولهم اتجاهه المطلوب مستعيناً بإشارة من يده. تابع
!سيروا في المقدّمة -

.الطلب منحى أمر
«!خضوع للمقدور»
.الشاب الزنجي في المقدمة. أنت وسالم من ورائه. مسؤولهم يجاري خطوات الرجل ذي اللحية المدببة
«!؟تراه تساءل عن طبيعة الرائحة العطرية الصادمة»
.العساكر الثلاثة في المؤخّرة
«إحكام سيطرة»
:مشوا عبر ممر طويل خافت الإضاءة، خاوٍ من المكاتب، لا أثر فيه لتواجد بشري. الفكرة العابرة للذهن
«!!سيفضي بكم للأسوأ.. حتما»
شعور مهيمن بالوحشة. الخطوات أقرب الى الهرولة لا المشي. كنتم اشبه برتل صغير يطارد بعضه.. ترصّد اللهاث وصدى
.وقع الأحذية على الأرض الحجرية يكرّس الإحساس بغرابة الحدث الماثل
!حسبنا الله الواحد القهّار -
.غمغم بها الرجل إيّاه. استجاب مسؤولهم أصدر زمجرة غاضبة. لو كان الظرف غيره تمخّض الموقف عن ابتسامة مفارقة
«!؟من يؤخذ بجريرة.. ماذا»
:حضرتك كلمات ساررك بها سالم قبل قليل
«إجراءات روتينيّة .. -»
:فرصتك غير متاحة لتوجيه سؤالك
«..إن كان روتينهم على هذه الشاكلة»
.احتمالات شتّى لا يمكن إلاّ أنْ تجيء ضارّة.. أضف.. هذا الشعور الضاغط بالمصادرة مدعّمة مهانة مجانية
«راكب ترانزيت»
.كنتما سالم وأنت - دون قصدكما - توقّعان لخطواتكما. حانت عنك التفاتة نحو سالم
«!!مقارنة خبرة معاشة الآن بتطمين سابق»
:أفتر فم سالم عن ابتسامة اعتذار باهتة مشفوعة حيرة. كان أشبه بمن يقول
«لهم مطلق تصرفاتهم.. مادمنا عقر دارهم -»
!؟افتراض سليم.. ذريعتهم كيف
á á á
!أزمع أن أجد ذاتي على طريقتي .. -
.واجهته إيمان.. حين غفلة
«..محال أنْ تتخلّى»
:ذهنه. عجزه عن الإلمام بالقصد. ذريعتها فيما ارتأته
!أنت حققت ذاتك عبر انشغالك الكلّي بطموحك السياسي، وأنا على الهامش من ذلك -
«!فهمها لأمورهما منحى مستجد مثلما هو مفاجئ»
:هل يناشدها
!ارحماك به -
:مرارتها تتشرّب صوتها. استطردت
!!صرتُ جزءاً من ديكور حياتك -
شمله ذهوله
!؟ما هذا الذي تقولينه له -
حاججها
!هي الكائن الأهم في حياته -
:أكّد لها
!!شريكته في كلّ شيء -
.مرارتها تتشرّب صوتها أكثر
!شريكة صوريّة -
:تساءل مع نفسه
«!؟فكرتها. تشكّلها. اختمارها.. منذ متى»
:عاد واجه نفسه

«!؟هل هو المسؤول عن إحساس إيمان بالاغتراب تجاه حياته العمليّة.. أم أنّها وفّتت لنأيها بإختيارها»
:صرف ذهنه عن تساؤلاته. استحلفها
- !!حبّهما
:لاذت بصمتها برهة. تطلّعت إليه في عينيه بمنحى الإحالة. أطلقت زفرة دالّة على ألم دفين. قالت
- .الحب.. أنْ نرى الحياة والأشياء من خلال الحبيب
:عدوى ألمها بانتقالها إليه.. أزمع الإدلاء بمداخلته
«..لا خلاف -»
:أضافت بالألم إيّاه
- .لا أنْ يقبع واحدنا في الظلّ بانتظار فائض وقت صاحبه
.حاصرته حيرته
- !!لو يفهم
:خيّل إليه أنّ عينيها تبللتا بالدمع. قالت
- !أضواء الشهرة تُعمي البصيرة
- ..هو.. في حقيقة الأمر
:قاطعته والغصّة تلوح في صوتها
- !أنا.. في حقيقة الأمر.. ما عدت قادرة على مواصلة حياتي معك
:شدهه تساؤله
«!؟ًلماذا لم تقل.. حياتهما معا»
:لحقه ثان
«!؟من أين للآخر قدرته على كتمان مثل هذا الألم»
á á á
«..مضاهاة مكوّنات مشهديّة لأحد أفلام الرعب»
اندفاع أربعة صودروا من عند سلّم الطائرة.. ثلاث بنادق آلية ومرافق رابع مسؤول.. رحلة أرضية في المجهول. هل يحقّ
:لك أنْ تقول
«نهايتها مسك»
المسك المصاحب.. ممرهم الطويل المقفر يقود إلى شبيه، عدا كونه منخفض السقف، بأرضية مرصوفة ببلاط بلاستيكي،
:مما كتم صدى وقع الأحذية. تداعت مخيّلتك
«!؟ًما أدراك أنّ الركّاب المرافقين لك ليسوا مشتبهاً بهم فعلا»
:تداعت أبعد
«!؟ما أدراك أنّك لست مشتبهاً به في نظرهم»
..برغم اللهاث
«!!توارد أسماء أدرجت على لائحة سوداء.. دون استبعاد.. نشاطك السياسي.. مثار شبهة هنا»
.كما ابتسامة مفارقة انبعثت في داخلك
«!!مجرم عن سبق جهل»
- !إذا سمحتم
.ردها مسؤولهم لدى الاقتراب من نهاية الممر حيث يوجد باب معدني صلد
«..بلوغ القصد، أم لم»
.تقدّم. عالج الباب. فتحه. أفسح سبيل العبور
«المكان الآن»
داخل قاعة فارهة المساحة، عالية السقف، ازدانت أركانها بأصص لنباتات داخلية داكنة الخضرة، إضافة لأريكتين معدنيتين
.متقابلتين في الجوار من مكتب وحيد ذي واجهة زجاجية حجرية حاجبة للرؤية. أفلت صدرك - خارج إرادتك - زفرة ارتياح
«..هامش اطمئنان»
:بادر مسؤولهم أشار نحو الأريكتين
- !تفضلوا.. اجلسوا
.سارع من فوره توجّه نحو باب مكتبهم. توارى هناك
«المكان لا يصلح لاعتقال»

.درت بعينيك على الجوار
«!؟لماذا لم تلحظ اختفاءهم»
.عساكرهم الثلاثة غياب مفاجئ، وكأنّهم لم يوجدوا البتّة. انفرج داخلك عن ابتسامة رضا
«مدعاة أمان»
بقصد أو من غيره.. اختار الرجل ذو اللحية المدببة الأريكة الأبعد عن باب المكتب جلس على الطرف منها، في حين توزّع الثلاثة: أنت، سالم، الشاب الزنجي، مساحة الأريكة الثانية. أشركك سالم هواجسه مومئاً برأسه نحو الواجهة الزجاجيّة لمكتبهم:
- معروف عنهم دقّتهم في تحريّاتهم..
صوته يلامس قلقه. تابع:
- عسى ألاّ يتسببوا بتأخيرنا عن مواعيد إقلاع طائراتنا!
سمعت جار الأريكة المقابلة يردد بصوت خافت:
- قُل لن يصيبنا إلاّ ما كتبه الله لنا.

á á á

.بضع دقائق مرّت منذ غاب مسؤولهم وراء الزجاج الحجري لمكتبهم
«فسحة زمن لالتقاط الأنفاس»
.الهدوء يهيمن على المكان. تناهى صوت محرّك طائرة قادماً من بعيد
«لستم في قبو فاره المساحة، لكنّه الإحساس المترتّب»
الإضاءة بيضاء ساطعة صادرة عن مصابيح نيون مدلاة بسلاسل من السقف العالي. خطفت نظرة لوجه الشاب الزنجي الجالس إلى جانبك. عيناه ساهمتان في البعيد، قسماته لم تعد مشدودة غاضبة. حدسه - على ما يبدو - بانفراج قريب للحالة الطارئة.
انتقلت ببصرك إلى الأريكة الثانية. رابعكم يشغل أنامل إحدى يديه بتداول خرزات مسباح أصفر اللون. رأسه يميل إلى وراء قليلاً. جفناه مطبقان. شفتاه تتحركان. تتلامسان بهمس غير مسموع.
«شعور مختلف بالمحاصرة»
في اللحظة استرعاك صوت عميق القرار لجليسك الشاب الزنجي متحدّثاً بلغة لم تفهمها. انبرى سالم. قال بالانجليزية:
- عذراً.. نحن لا نجيد الحديث باللغة الألمانية!
- آسف!
.رددها الآخر مشفوعة بابتسامة متفهّمة
«الإبتسام جسر اتصال»
عرّف بنفسه:
- جون.. هولندي من أصل نايجيري.
جاراه سالم مشيراً لصدره:
- أنا سالم..
واصل تعريفه:
- الأستاذ أحمد..
ختم بهامش اعتداد:
- عرب.. بلدنا الكويت!

á á á

«..الكويت بلده.. حين يكون عندها يعايشها بالاعتيادية اليومية لا يكاد يأبه بمشاعر تجاهها، فإن غادرها لأمد مفتوح» الارتباط بالمكان الانتماء، شأن الارتباط بالحبيب الشريك.. عودته إلى الكويت من رحلة شهر عسله تلك. انغماسه المحموم - المحسوب أو التلقائي - في العمل السياسي.
«مشروع شخصيّة عامّة»
.واعزه المحرّك له دون هوادة في أن يثبت جدارته لشريكة عمره إيمان أوّلاً، لنفسه ولآخرين معنيين ثانيا
«التحقق من عدمه»
زمنه ذاك. زحمته بالعمل والطموحات الآخذة برقاب بعضها. تواصل نهاراته بلياليها. جهد لا يقبل الكلل. لقاءات. اجتماعات. تلبية دعوات.. حضور مناسبات. واجبات مترتّبة عن مجاملات. خيّل له - أكثر من مرّة - أنّه ملزم بالتواجد في مكانين، ربّما ثلاثة. في الوقت ذاته.

- !ليتها تبلّغ تحيّاته لأهلها.. سيبذل جهده.. يرافقها لزيارتهم مرّة ثانية
- ..
- !عسى ألاّ تسهر بانتظاره.. سيعود متأخّرا
- ..
- !أمامه سفرة عمل مفاجئة لثلاثة أيام

:بعد سنتين زواج استوقفه سؤالها الحائر

- !؟متى نستقر

.شدهه الحزن الساكن في صوتها

- !!لم يفهم ما الذي تعنيه

.بدرت عنها أنّة أليمة

- !!تعبت

«!لمّا يعزّ الإدراك»

.يحتاج وقفة تأمل

- !؟ما رأيها لو سافرا معاً. اسبوع سياحة

.أطلقت زفرة شاكية

- ..أنت في وادي

:قاطعها

- !هو واديها
- !شرط ألاّ يكون مقفرا

:عاتبها

- !!إيمان
- !!لو تعرف مدى تعبي
- ..يدري أنّها تعبت، وأنّ عنصر الملل بدأ يفعل فعله.. لكنّ التضحية في مثل حالتهما
- ..حالتنا يا أحمد

:لامس بأصابعه شفتيها. قطع عليها احتجاجها. أخذها لصدره. ثقته تعمّر صوته. همس لها في أذنها

- !مرحلة التأسيس تقتضي جهوداً استثنائية

:نداوة فمها عند رقبته. وصله احتجاجها بدّالة الاشتراط

- !!على ألاّ تقتضينا عمرنا كلّه

.باغتته ضحكته

- !محال

:نداوة فمها مازالت عند رقبته. حزنها لم يغادر صوتها تماما

- !الا أدري

.سعيه الطموح في أن يصير نجم سياسة.. بعد عام من حوارهما ذاك اغتنمت لحظة تواجدهما في سرير الزوجية

- !تعبي تجاوز حدّه

.صمت قصير جدا

- !أنا الآن متبلّدة الأحاسيس
- !لها الحقّ كلّه
- !!الفعل من القول
- !!لم يفهم
- !لك الحقّ في أن لا تفهم

.أطلق ضحكة مفارقة

- !؟أحجية

.لم يمهلها إجابتها. احتواها بذراعيه

- !حبّه الوحيد الكبير الأوّل والأخير
- !أدري

.قالتها بمنحى تقريري. صوتها منزوع الحزن. تجاوز شعوره بالإحباط. يدريها تحبّه بالمثل

«..الامتعاض الأنثوي في حالات منه»

:همس لها بتفهّم واعد

- !بقى القليل

.لم تحاججه أكثر. لم تتملّص من تحويطة ذراعيه

«الصمت دليل رضا»

:بعد مرور سنتين أُخريين. واجهته بطلبها

- جلسة مصارحة .. !

á á á

.القاعة فارهة المساحة، ثقل الوقت في حالة الانتظار. انفتح باب مكتبهم، أطل رأس مسؤولهم

- السيد المحترم جون ..!

.نداوٓه يدلل على احترامه. حانت عن جون نظرة سريعة لمجالسيه كمن يزمع مساررة

«!الدور الآن علي»

.نهض من فوره ملبياً. حثّ خطوه بالاتجاه. أفسح له مسؤولهم طريق العبور إلى الداخل. أطبق من ورائهما

«!بدأت تفرج»

لا شيء يمنع الواحد من التشبّث بالأمل. تطلّعت صوب جار الأريكة الثانية. رأيته مطبقاً جفنيه. ساكناً في جلسته. أشبه بالحاضر الغائب، لولا حركة شفتيه. سمعته يردد بصوت خفيض :

- إنّ الله مع الصابرين !

«!وحده يشدّ أزره»

:انبرى سالم قائلا

- هو من الـ.. أف بي آي .

«!؟من أين للآخر أن يجزم»

- أنت متأكّد؟!

- تماما !

.للوهلة الأولى ظننته يتحدّث عن الرجل الجالس أمامكما. أدرك سالم التباس الفهم. إبتسم

- لا أعني هذا !

:استطرد مشيراً ناحية مكتبهم

- أعني.. ذاك الذي أخذ جوازات سفرنا منّا ..

:صمت قصير جدّاً. تابع

- وها هو يتولّى مهمّة التحقق منها !

:تأملت ما سمعت برهة. تساءلت

- كيف عرفت؟!

:أجاب سالم واثقا

- لكنته الأمريكيّة في نطقه للإنجليزيّة .

«خبرة تفتقدها»

:سالم، معرفته بخفايا الأمور. أضاف

- عدا عن حذلقته .

«أحد الأسباب المثيرة لانزعاجك»

- إضافة لذلك ..

:إزماع سالم مواصلة الإدلاء بمعلوماته لولا سماع صوت جون غاضباً متسرّباً عبر الواجهة الزجاجية لمكتبهم

- هذا اضطهاد عنصري !

«غضب الآخر لا يأتي جزافا»

:لحظة صمت. أعقبها

- لا يحقّ لكم الشك بالشخص لمجرّد لونه .. !!

.وحده جون يصرخ، ولا استجابة مسموعة للرد عليه

«خفوت الصوت من برودة الأعصاب»

:وهلة إنصات. أعقبها صراخ جون بأعلى

- إهانة لا تغتفر!!.. أنتم تتهمونني بتزوير وثيقة سفر رسميّة صادرة عن حكومة مملكة هولندا !!

«الصراخ يتسبب في ضياع الحق.. أحيانا»

.وهلة إنصات أخرى

- هولندا عضو في الاتحاد الأوربي !

«الكويت أبعد ما يكون»

:سالم لا يكف يبذل جهده لنقل خبرته. قال

- لكيلا نتسبب في تعقيد إجراءاتهم معنا.. يتوجّب علينا ان نتحلّى بالصبر والانضباط ورباطة الجأش ..

«!أضف لها ما شئت من صفات»
:لم يتبادر لك تكاشف محدّثك
«أخوك مؤهّل بالفطرة.. احتراف العمل السياسي يعني إتقان فن المناورة، المراوغة على وجه الخصوص»
:أضاف سالم ناصحا
!لا تجهر بغضبك أو انفعالك أمامهم -
:اشتراط إبداء الموافقة
.وهو كذلك -
.عدت تطلّعت لوجه جار الأريكة المقابلة. رأيته مستفزّاً زامّاً شفتيه، يسترق السمع
«كلّ واردها»
:عاد صوت جون بوتيرة انفعاله ذاتها
!!لا أرى سبباً منطقياً لاستجوابكم -
..
.نعم.. أحمل بجيبي مبلغاً نقدياً.. بحدود الألف دولار أمريكي.. لزوم مصاريف السفر -
:صمت قصير. ردد بعده جون بتسليم مقهور
!ها هو أمامكم.. ولا مانع عندي لأنْ تخضعوني للتفتيش الذاتي -
:وهلة ترقّب قصيرة أعقبها تساؤل ممتعض
!؟ًما الذي تريدون معرفته أيضا -
.ثوان أخرى من الترقّب، قبل أن ينفتح باب مكتبهم
!على أية حال.. ليكن في علمكم أنّي مواطن أوربي -
.قالها جون وهو ينفلت خارجاً بسحنة ثائرة، أتبعها بكلمات غريبة عصيّة على الفهم
!يشتمهم بالنيجيرية -
.اجتهد سالم مستنتجاً بصوت خفيض، في حين اقترب جون، عاد احتل مكانه من الأريكة لاهث الأنفاس
.وهلة الزمن تلك.. وما تجرأ سالم على التطفّل، كأن يوجّه سؤالاً لجون، أو يبدي تعاطفه معه
á á á
.مرّت الدقائق بطيئة ثقيلة. خيّم خلالها مناخ من الصمت المتوتّر
«!؟ماذا عنك»
.تذكّرت ساعتك. حدّقت فيها. موعد إقلاع الطائرة التي ستقلّك إلى برلين يحلّ بعد زهاء ساعتين
«الوقت باتساع احتياطي كاف»
.بيد أنّ هاجس الشك سرعان ما داخلك
«!!إنْ لم تستغرق تحرّياتهم زمناً أطول»
بدرت عن جون زفرة حرّى. بدأ يتململ في جلسته. رجل الأريكة المقابلة عاد لتحريك شفتيّه مطبقاً جفنيّه. شاغلاً أصابع يده
:بخرزات مسباحه. بدد سالم مناخ الصمت. قال
.وجهتي الولايات المتحدة.. كالفورنيا -
:حديثه اتخذ سمة الإخبار. لا بأس من سؤاله
!؟متى موعد إقلاع طائرتك -
:خطف نظرة لساعته. أجاب
.بقي أمامي ما يقرب من ساعة -
.الألفة ما بين اثنين تعني إيلاء الإهتمام
!؟ألا تخشى أن يفوتك موعد رحلتك -
:انفرج فمه بابتسامة مطمئنة. أومأ برأسه ناحية مكتبهم. أجاب
.هم يتقنون عملهم -
:صمت قصير جدّاً أكّد بعده
.يؤدّونه بالدقة المطلوبة -
«!؟من أين له ثقته هذه»
:مناخ الصمت وقد تبدد جرّاء متابعة سالم حديثه.. تشجّع جون نفّس عن اعتمال مشاعره
!معاملتهم لغيرهم تفتقر لأبسط أنواع الاحترام -
:كلماته المشحونة غضباً بإحالتها على ما وراء الواجهة الزجاجية، بدأ سالم مداخلته متوخّياً واعز النصح
..يفترض بالواحد منّا -

:أسكتته ضحكة مبتورة صدرت عن جون. واصل حديثه دون أن يتنبّه لمشروع مداخلة سالم

!بينما تراهم يتشدّقون باداعاءات مراعاة حقوق الإنسان -

:نبرة صوته تؤكّد استهجانه. أضاف

!وهم - في الوقت نفسه - لا يتوانون عن إلقاء لومهم العنيف على مواطني العالم الثالث -

:مع الاحتفاظ بالتصريح

«هولندي.. مواطن عالم أوّل»

:قال سالم

.. - المسألة - كما أعتقد -

قطع عليه استرساله انفتاح باب مكتبهم. ظهور موظّف شاب بالزي المدني، حاملاً وثائق سفر الأربعة بيده. هل آن للواحد :أن يتفاءل

«!!فرجت»

.سالم وجون انشدا باهتمامهما إلى الموظّف المعني، جار الأريكة المقابلة كفّ عن تسبيحاته. فتح عينيه على سعتهما

«!!فرح سابق لأوانه»

.موظّفهم الذي حثّ خطوه بالاتجاه تجاوز الأريكتين، دون أن يتجشّم عناء النظر لأي من اللاهفين

!!هم يعبثون بأعصابنا -

:قالها جون بحقد. تلاه جار الأريكة الثانية مغمغما

!حسبنا الله ونعم الوكيل -

:أدلى سالم بمشاركته

..أيّاً كانت طبيعة تحريّاتهم -

:تحرّى اختيار كلماته. واصل

!هم يتحمّلون مسؤولية وجودنا عندهم -

:حالة راهنة

«..مسألتنا الأساسيّة.. الوقت. فإن تخلّف الواحد منّا عن موعد إقلاع طائرته»

!بشر من نوع غريب -

:رددها جون من بين أسنانه. أضاف لها

!لا يتبعون الأنظمة المعمول بها عالميّا -

.سالم لم يجد ما يعقّب به. عمد جون إلى مواصلة تنفيسه عن غضبه متوسّلاً بسيل من رطانته

«..شرّ البليّة»

:غمغم الجار بصوت جلي كمن يردّ الصاع

..قُل يا أيّها الكافرون -

:حدجه سالم بنظرة يشوبها امتعاض. غمغم بدوره

.الناس صنفان، أخ لك في الدين ونظير لك في الخَلْق -

:انكمش الجار الآخر على نفسه. في حين تابع سالم حديثه مضمّناً ما يشبه الشماتة

..نحن العرب -

:سارع استدرك

..المسلمون تحديدا -

:بدا على الجار إيّاه وكأنّه استفز. فتح عينيه. وددت لو تقول لسالم

«!!كفى»

:شماتته الموجّهة تتبدّى أكثر

!مسؤولون - بهذا الشكل أو ذاك - عمّا نتعرّض له من إهانة .. -

.نمّ فم جار الأريكة الأخرى عن ابتسامة محدودة دالّة على اعتداد بالذات. أطبق جفنيه، عائداً لعالمه الخاص

..معضلتنا الرئيسية -

:استطرد سالم بعدما صرف اهتمامه عن المعني محيلاً نقده إلى نفسه.. منحى اعتراف

!أننا نبيح لأنفسنا حقّ نفي الآخر .. -

á á á

!؟نفي الآخر - هنا - يتمثّل في إلغائه بافتراضه عدواً قائماً أو محتملاً.. ماذا عن نفي الآخر بصفته حبيبا

!نحتاج جلسة مصارحة -

.ذاك ما باغتته به إيمان ذات لحظة غفل. العرض صيغة طلب. صوتها ينشحن أسى لا قرار له

«أيام أخيرة.. أحسن ما يرام»
.يحقّ له أنْ يقلق
«الازماع مغاير للتبييت»
:يتذكّر تفاصيل موقفهما. كان قد طلب منها
.أعدّي نفسك.. حضور حفل افتتاح سوق خيري -
:الظرف. ضيق الوقت. ارتأى عليها راجيا
!بعد العودة من الحفل -
.إصرارها أثار استغرابه
!الآن -
.منحى سلوك معارض لم يعهده منها، وما تبادر لذهنه انّه بدء التحوّل الجذري في شخصيّتها
«ليكن»
سارر داخله بها. يجدر به النأي عمّا يسبب تأزيم علاقتهما. أخذها من يدها نحو أقرب أريكة. أجلسها. جلس عندها متحلّياً
.بالصبر مدعّماً إعزازا
:تحرّى اهتمامه لدى تساؤله
«!؟خير» -
:شفتاها اختلجتا، أشبه بمن أمسك كلاماً أوشك على التلفّظ به. بادر شجّعها بروح المشاركة
!أذنه صاغية -
:عيناها - وهما تتطلّعانه - تضمران رثاءً لم يدرك كنهه. أجابت بعد تأمّل قصير
.لا شيء على وجه الدقّة -
:هفا فيه قلبه. ردّ الفعل العفوي يفوق الاحتمال. كلماتها المحدودة بالمعنى الذي بلغه
«كل شيء.. دون استثناء -»
.تواتره نبض صدغيه
«..تعاشر إنساناً أعواماً.. تظنّك قرأته من داخله. هضمته ليصير جزءاً حيويّاً في لحمة حياتك»
:الحيرة تقترن بالابهام. كاشفها
!!لو يفهم -
:تمنّت عليه
!عسى أنْ تفهم -
:عيناها باقيتان تؤكّدان نظرة رثائها. انتظر إيضاحها. حسمت ترددها. قالت كمن يلقي حملاً ناء به طويلا
!حياتنا برمّتها -
«!وعي الشيء خط نهاية»
.اتسع إدراكه. شملهما
«!هي القاضية.. إذن»
!؟معي.. في هذا -
صيغة تساؤلها منزوعة الردّ. انتابه شعور طارئ بالمهانة مترتّب عن رثائها المنبثق في عينيها، يوازيه ثاني مستعاد
:بالتقصير.. ما كان الموقف مناسباً كي يذكّرها أو يناشدها
!!حبّهما -
:وجد نفسه مضطرّاً للتشبّث بأطراف رجولته. بذل جهده لضبط انفعالاته. تساءل مهتمّا
!؟ما الذي أصاب حياتهما برمّتها -
:صمتت برهة قصيرة. عيناها على موقّفهما منه. أجابت رابطة الجأش، بما لا يمتّ لتساؤله بصلة مباشرة
!آن أنْ نفترق صديقين -
.مادت أرضه به. الداهم بلا سابق إنذار. يتفهّم مدى تعبها تجاه نمط انشغالاته المتصلة
«الإدراك يجيء متأخّرا»
..أريكتهما. جلستهما تلك. رحلة حياتهما ريثما لحظتهما.. وها هو أمام قرار متخذ من طرف واحد وعلى الطرف الثاني أن
«!المسألة ليست وليدة صدفة»
جزمه بأنّه يعرفها في المطلق، يقرأها كتاباً مفتوحاً، دخائلها - باعتقاده - مباحة له، ارتباطها الوشيج به، واعتمادها -
.شؤون حياتها كلّها - عليه
«!؟أين منهما حتميّة مواصلتهما معا»

:الصمت محاولة بائسة لاستيعاب الموقف.. قناعتها تتعزز في صوتها. قالت
!لا يعوزك التفهّم -
«!!ثقتها في غير محلها. توازنه على المحكّ. يقينياته الراسخة. زعزعتها. تقوّضها بغتة»
..يجدر بنا -
:أصغى لها. سمعها تدلي بموضوعية تنحو منحى النصح أو لفت النظر، مشددة على مخارج حروفها. واصلت
!أنْ نتسلّك بصفتنا إنسانين حضاريين .. -
«تبادل مواقع.. اتجاه جبري»
:لم يسألها
؟ًمنْ منهما الملزم أنْ يتسلّك حضاريا -
:كان نهب اكتشافه
«فجيعة الإيمان بالآخر»
:استعاده نداؤها
!أحمد -
:وجده يستجيب آليّا
!إيمان -
.رغم انفراج فمها بابتسامتها عيناها مازالتا ترثيانه. ألأنّه وجهه الفاضح لانفعالاته
«زمام المبادرة»
:استجمع شتاته. بحث عن حياديّة صوته. تساءل مترسّماً كبرياءه مضمّناً استعداداً لإكتشاف المزيد
؟ًماذا أيضا -
:بهتت ابتسامتها. عقدت حاجبيها. وزنت كلماتها قبل إدلائها بها. قالت
.أدري.. أنت مازلت تحبّني -
:اندهاش في اللا أوان. التشكيك في التعبير «مازلت»، والحدس المترتّب وجه استنتاج. سألها
..يكاد يفهم أنّك ما عدت -
:أبقى جملته مفتوحة باحتمالها. جاءته إجابتها معزيّة
!أنا لا أكرهك -
:هل يستجيب. يبدي امتنانه
!شكرا -
..المتغيّرات. تواليها. أخذها برقاب بعضها. أنْ يسلّم للآخر، ينهزم أمامه، شأن انهزامه في داخله
:السياسة دبلوماسية الاقناع. يصعب عليه تسليمه بانهزامه بالسرعة.. والسؤال العابر للذهن
«!؟..مدى إمكانية استعادتك لحبيب يوشك أن»
.التفاوض من مركز القوّة. رباطة الجأش. هامش لا مبالاة مفترضة، أسوة بالاستعداد لتلقي أسوأ الاحتمالات
!؟ماذا تريدين بالضبط -
.أبقت عينيها في عمق عينيه. انتابته رجفة خفيّة
«!عليه تماسكه»
:هدف لأن يشدّ أزره. اختارت إجابتها بحرص. نبرة صوتها تلامس حدود اعتزاز آفل
!أريد أنْ أبدأ حياتي من جديد -
:تواردته خاطرته
«!!مع شريك جديد»
.ما أدراه أنّها لم.. لعلّها استمدّت صلابتها هذه من ضمان القادم
«!وهو آخر العارفين»
.الحدس - بحد ذاته - مبعث مذلّة. غامر باتخاذ قراره في أنْ يحسم شكّه
:واجهها بتساؤله
!؟هناك رجل آخر -
.ردّ فعلها لدى سماعها انبجس في عينيها
«!!ليته لم يفعل»
.أدرك - توّه - أنّها همّشته في داخلها. تضاءل عندها. شيء أشبه بمداراة شعور بالاشمئزاز
«الاعتذار مذلّة مضاعفة»

نفضت رأسها كأنّها تطرد إجابة حضرتها. قالت:

- ليس في البال.

صمتت لثانيتين. أكّدت:

- إطلاقا!

تشرّب حزنها صوتها. أضافت مقتنعة:

-

النقاهة إبلال من مرض.. عليه - والحالة هذه - أن يسلّم بقناعتها.

«هو العضال»

لم ترفع عينيها عن عينيه بعد. غافلتها زفرتها. ختمت حائرة:

- عسى أن أوفّق بالعثور على نفسي!

á á á

حين لا يصادفك ما يشغلك من خارجك يعتمل فيك داخلك.. فوضى تداعياتك، أو جلدك لذاتك.

قاعتهم الفارهة.. مرافقوك الثلاثة حالة سكون. كلٌّ يطارد خيالاته، يعيد ترتيب حسابات حياته.

غرائبيّة ظرفكم أنتم الأربعة. مطار أوربي. وصولكم لهنا.. عبور «ترانزيت»، آل إلى احتجاز تتمنون له أنْ يكون عابراً.. ترانزيت.

الزمن - حالتكم هذه - يمر بتباطؤ شديد الوقع على الأعصاب، لكنّه - هنا وجه المفارقة - آخذ بالتآكل السريع.

المطارات عامّة.. ضجيج متصل، هدير محركات طائرات تقلع. أخرى تهبط، زحمة الناس ضجيجهم، أصوات القائمين على سير العمل من خلال مكبّرات الصوت. محلات بيع السلع، المطاعم.. هنا سكون مطبق.

غادروكم من على سلّم الطائرة. أركبوكم باصاً مغايرة، قطعوا بكم مسافات مجهولة لكم، ركضوا بكم طويلاً، ريثما.. هذا المكان النائي.

«حجر أو حجز، ما الفرق؟!»

وجدتك - دون قصد - تُراقب إحدى النبتات الداخلية على مبعدة أمتار من حيث تجلس. تكاد تجزم أنّ أغصانها - رغم السكون الكلّي للهواء- تنوس يمنة ويسرة بحركة بطيئة يصعب رصدها.

«.. النباتات لمّا تتنفّس تتحرّك»

النباتات - وهذا أمر متّفق عليه - تتنفّس ليلاً.. أم أن وقتهم - هنا- خادع يداخل نهارهم بليلهم!

- إسفاف ما بعده!

بدد جون سكون المكان بصوته الحامل نقمته. قلقه - كما يبدو- استحوذه تماماً. هبّ واقفاً. أخذ يذرع مسافة الأرض الفاصلة بين الأريكتين.

- لا يقيمون وزناً لغيرهم!

غضبه يتآكله. لو نصحته:

- عليك صبرك!

أدلى سالم مداخلته متأففا:

- تجاوزوا حدود المعقول!

عدوى انفعال جون انتقلت إليه. أضاف:

- بإمكانهم إنجاز تحرّياتهم بوقت أقل!

هدفت لتخفيف غلوائه. أشرت لساعة معصمك.

- في الوقت متسع!

حاججك مشترطا:

- إن كانوا مهتمّين فعلاً بألاّ يتسببوا في..

قطع عليه مواصلته جملته ظهور موظّفهم عائداً حاملاً وثائق سفركم في يده.

- ها هو!!

ردها جون. تطلّع بالاتجاه. عيونكم كلكم - بما فيكم جار الأريكة المقابلة - انشدّت للموظّف.

«لعلّنا شارفنا موعد إطلاق سراحنا!!»

الموظف المعني - باقترابه - لم يكن يتعجّل خطواته بما يتناسب مع حالة انتظار لاهفة تعانونها.

«مشاعر آلية!!»

نظراته مفرغة. مرّ من أمامكم دون أن يلحظ وجودكم، واصل مشيه الوئيد نحو مكتبهم. اختفى هناك.

- إسفلة!

أطلقها جون من بين أسنانه مشحونة حقداً. عاد يذرع مساحة الأرض بين الأريكتين بعصبيّة ظاهرة. تململ جار الأريكة المقابلة. غمغم:

- ولا تنابزوا بالألقاب.

شيء ما حفّز جورج لأن يلتفت. يوجّه نظرة استنكار.

«هل أدرك القصد؟!»

الآخر لم يعر التفاتاً. سرح بعينيه بعيداً، شاغلاً يده بمسباحه. بدا على جون وكأنّه تذكّر أمراً ما فجأة. تطلّع في ساعته. انقبضت عضلات وجهه.

- اللعنة!

ردددها بإحساس مقهور. نقّل بصره بين وجهيكما، سالم وأنت، قبل أن يقول بدالّة إثبات واقعة:

- فاتتني فرصة اللحاق بطائرتي!

جاراه سالم بواعز المشاركة أو المواساة:

- يفتقرون إلى الإحساس بأهميّة الوقت!

سارت نفسك:

«أحدنا فاتته طائرته.. الباقون، مصائرهم المعلّقة!!»

غضبه ينازع أساه. أفضى جون عمّا يعتمل في داخله:

- بمجرّد بلوغي أمستردام سأطلب من المحامي الخاص بي رفع دعوى تعويض للضرر ضد سلطات مطارهم هنا!

مفارقة واردة في البال:

«بلداننا.. تعويضك.. نفاذك بجلدك»

أمّن سالم على ما قاله جون بحركة مؤيّدة من رأسه، قال:

- يلزمهم أنْ يتحمّلوا تبعات تصرفاتهم!!

أزمع جون الردّ أو التعقيب لحظة انفتح باب مكتبهم، ظهر مسؤولهم ملوّحاً بوثيقة سفر واحدة..

- السيد المحترم جون!

نداؤه بحدود مراعاته لأدبه. بقي جون واقفاً مكانه. جاء ردّه باستجابة حاسمة تنبئ عن استعداد للمواجهة:

- ماذا تريدون أيضا؟!

بمحاولة لاحتواء الموقف انفرج فم مسؤولهم عن ابتسامة متفهّمة. تقدّم بالاتجاه. وقف أمام جون. قال متمنّيا:

- نريد لك رحلة مريحة!

«كما الانقلاب في الشخصية!!»

استنتاجك:

«لم يجدوا ما يدينون به الرجل»

مدّ مسؤولهم يده بوثيقة السفر. تردد جون بالاستلام. كان موزعاً ما بين إحساسه بالقهر وهذا الأدب الذي جوبه به.

- لو أنّكم سمحتم لي بالمغادرة قبل ربع ساعة على الأقل!

حزن جون يتشرّب صوته. استطرد بمنحى تحميل الآخر تبعة ما يحدث:

- تأخيركم لي فوّت عليّ موعد رحلتي!

وسّع مسؤولهم من حجم ابتسامته المتفهمة. تساءل:

- أظنّك بطريقك إلى أمستردام؟!

أجابه جون:

- نعم، إنّما..

قاطعه مسؤولهم:

- طائرتك لم تقلع بعد.

تخفف صوت جون من حدّته. حدّق في عيني الآخر متشككاً. تساءل بواعز رجاء:

- أنت متأكّد؟!

أجابه محدّثه عن ثقة راسخة:

- هم بانتظارك على المدرج!

انفرجت أسارير جون بفعل بدا لا إرادياً، بادر خطف جواز سفره من اليد الممدودة إليه. قال الآخر:

- اسلك هذا الإتجاه!

أشار ناحية باب معدني في الركن الأبعد للقاعة. أضاف:

- أحد رجالنا بانتظارك هناك.. يدلّك على الطريق الأسرع!

تبادر لذهنك:

«!سباق مع الوقت»

:بدرت عن جون غمغمة امتنان

- شكرا!

.انطلاقه صوب الباب المعدني البعيد. خطواته المتسارعة أشبه بالركض. لم تمهله لهفته لأن يخصّكم بكلمة وداع

«لا مبرر لديه للاستعانة بمحاميه في أمستردام»

.انسحب مسؤولهم نحو باب مكتبهم. غاب وراءه

«!؟الدور القادم على من»

:هل قرأ سالم أفكارك.. فوجئت به يقول لك

- الدور القادم علي!

.شملك فضولك

- كيف عرفت!؟

:أجابك بثقة

- ذلك ما يجب أنْ يحدث.

:تذكّر أضاف

- لم يبق الكثير عن موعد قيام رحلتي.

«حق الواحد في أنْ يأمل»

أردت مجاراته حديثه. صرفت ذهنك عن احتمال مجيء الدور القادم عليك. عمدت خفَضت درجة صوتك. أشرت من طرف

:خفي نحو جار الأريكة الثانية. تساءلت

- ربّما يكون دوره!!

:عاجلتك إجابته

- لن يكون.

«يجزم فيما لا يعلم»

:همست له

«!؟ما أدراك»

:حرص على إبقاء صوته منخفضا

- سيبقونه أطول مدّة ممكنة.

:أصدر ثالثكم غمغمته

- سبحانك اللهم علاّم الغيوب!

.يصدمك استغرابك

«!!سماعه لما نقوله بصدده مستبعد تماما»

.التمعت عينا سالم بابتسامة لا تخلو من روح كيديّة

- أمر مؤكّد الحدوث..

:رددها بقناعة. أبقى صوته عند مستوى الهمس. تابع

- رجال الـ اف.بي.آي.. والذين معه سيخضعون صاحبنا لأصناف عدّة من تحقيقاتهم الاستثنائية.

.تحتفظ بتساؤلاتك

«!؟اجتهاد في التأويل؟!.. أم معرفة موثوقة مترتّبة عن سابق خبرة»

:في حين استطرد سالم مومئا

- هيأته تستفزّهم. لن يألوا جهدهم في مضايقته. أقلّ ما يكافئونه به.. يفوتون عليه موعد رحلته.

«!!المكافأة وجه ثواب»

- لعلمك أستاذ أحمد..

:استرعاك سالم. واصل هامسا

- صاحبنا يعرف حقيقة ما ينتظره، لذلك تراه وقد أعدّ نفسه لمجابهة أسوأ الاحتمالات..

«أراه.. ملكوته.. خاصّته»

- يتعامل مع صنوف مضايقاتهم..

:سالم يواصل إدلاء معلوماته. أضاف

- على أنّها امتحان لإيمانه ..!

«إيمان بامتحان شراكتنا»

:تناهت إليك غمغمات جارك إيّاه

..وأمّا من آمن وعمل صالحا -

:ليتحوّل انتباهكم ثلاثتكم نحو باب مكتبهم، حيث تراءى لكم مسؤولهم رافعاً صوته

..السيّد المحترم سالم -

:استجاب الأخير بحيويّة

!حاضر -

:هبّ واقفاً. حانت عنه نظرة سريعة ضمّنها شعور بالانجاز وكأنّه يقول لك

!؟أرأيت -

أومأت برأسك مشجّعاً. حثّ خطوه بالاتجاه. وسّع له مسؤولهم طريق عبوره للداخل. غابا وراء زجاجهم السميك. أذناك - .دون قصد منك - أرهفتا

«!؟هل سيتناهى إلينا صوت سالم.. يرتفع احتجاجاً أو استنكاراً.. شأن جون إثر استدعائهم له»

:جارك على الأريكة المقابلة.. ما الذي يدور في باله تحديداً؟!.. رأيته يخالسك النظر. يردد بخفوت

..وقُل اعملوا -

.نشطت مخيّلتك

«!رائحة المسك»

.انبرى أنفك تشمم الهواء المحيط

«!!الرائحة.. ما عادت»

:تبددت دهشتك بعدما وجدت تفسيراً يناسب ظاهرة ماثلة

«حكم الاعتياد»

á á á

«حكم استعادة»

:عندما كاشفته إيمان بطلبها غير القابل للنقض

..تعال نفك -

:لم تصرّح بما معناه

.اعتيادك اليومي لوجودي إلى جانبك أدّى بك لأن تهملني، تغفل عمّا يغني حياتنا المشتركة -

:لكنّها قالت بالحرف

..اعتيادك لنمط حياتك -

«!فصل الواحد عن الواحد»

:موقفهما ذاك. التبس عليه فهمه. ناشدها

!بإمكانه إعادة النظر في كل الذي ورد ذكره -

:فاجأته بسؤال تعجيزي

!؟هل أنت مستعد للتخلّي عن نشاطاتك السياسيّة كافّة -

.المباغتة بحجم الحيرة

«!؟هل بإمكانه تخلّيه عن ذاته»

:لأنّه تردد إجابة سؤالها. استطردت متحرّية دقّتها باختيارها لكلماتها

.أنت - بمرور الوقت - صرت جزءاً من عملك السياسي، بدلاً من أن يكون عملك جزءاً من حياتك -

«!فهم غريب لانشغال إنسان ما بتحقيق طموحه»

.لو أنّه سألها توضيحاً لِما ذهبت إليه.. سيجيء التوضيح منحى إدانة أكبر

:قال لها

!كأنّك تفصلين حياتك عن حياته -

:حدجته بنظرة مغزاها

«!لا تتهرّب من مواجهة الحقيقة»

:حيرته من انشداهه. عيناها تضعفانه.. رغم هذا استنجد بإمكانيته على المحاججة، هدف لأن يقرّب وجهتي نظرهما. واصل

..علماً.. بأن حياتكما المشتركة -

:قطعت عليه استرساله

!أنت لم تفصل حياتنا المشتركة عن طموحاتك السياسيّة -

:لم يصرّح بدهشته

«!فهم ملتبس»

:حضرته حجّته

- !هو يعمل لأجلهما معا

:هزّه ردّها

- !دع عنك هذا

:نبرة صوتها بامتعاضها المضمّن تصرّح عمّا مفاده

«!ها أنت تستثمر أسلوبك في المناورة»

:تابعت بصيغة قرار يستبعد احتمال اشراك الآخر في الرأي

- !إعمل لك وحدك

.أُسقط في يده

- !؟ما الذي تعنيه في أن يعمل له وحده

.أغفلت اجابتها على سؤاله. صمتت برهة خالها دهراً، رحل صوتها وراء حزنها

- !فيما يخصّني.. أطمع بسلام داخليّ يعيد لي توازني

«!!ذهنه ضحيّة اشتباك يصعب الخلاص منه»

..بالأمس كانا سفينة واحدة.. خطّ سير محدد واضح. يستنتج مما تقوله الآن أنّهما سفينتان تبحران باتجاهين

- !!حبيبته

.رددها على مسامعها بصفتها الحبيبة خاصّته. تطلّعت فيه، تراه ولا تراه

- !أسمعك

:سؤال لم يصدر عنه

- !؟سلامها الداخلي.. ما الذي زعزعه

:كلمات لم يصرّح بها

- !يعرفها شخصية متزنة واعية

:استثارها صمته. تساءلت

- !؟ماذا

:أصدقها ردّه

- !!الا يدري

..ويدري أنّ خلوّ عش الزوجيّة من أطفال يملأون عليهما فراغاً مقدّراً ليس سبباً ملزماً لانفصالهما مادام الحب

..يدري أنّ الفحوص الطبيّة - وقد تناوباها بعد سنة من زواجهما - أثبتت عدم قدرتها على الإنجاب

- !أمر مؤسف.. البويضة تولد ميّتة

:قالها أحد الأطباء من ذوي الاختصاص بأسى مشارك. تابع محاولاً شدّ أزرهما

- ..يبقى الأمل

:وهما يغادران عيادة الطبيب، وهي تكفكف دموع خيبتها قال لها بيقينية العاشق

- .إذا كان هذا قدرهما.. هو راض به

:احتواها عنده. أضاف

- !يكفيه كونها إلى جانبه

.استبعد خاطرة عدم قدرتها على الإنجاب من ذهنه في حينها، كان بمواجهة خطر فقدانها

«مدى إمكانية رأب الصدع»

.حشد صوته بإعزازه لها

- ..من حقّ علاقاتهما عليهما أنْ يمنحاها فرصة.. أن يعيدا نظرهما بأسلوب تعاملهما بينهما - عسى أن

:قاطعته

- !خمس سنوات يا أحمد

:لم ييأس. قال

- !مازالا.. أوّل العمر

:لم تثنه ابتسامتها الباهتة. ناشدها

- ..تولّي أنتِ زمامهما.. اقترحي ما ترينه قادراً على

:قاطعته بصوت نافذ

- ..أقترح أمراً واحدا

:أبقت جملتها معلّقة. استحثّها لاهفا

- !؟ما هو

:فجعه تبييتها لإجابتها

!!انتطلّق -
.وهلة زمن. هما معاً. هي أمامه. أحسّها غريبة عليه. كما لو أنّه يراها مرّة أولى
«الجهل شأن العجز عن الفهم»
!؟إن كان عامل اليأس دافعاً رئيساً للتخلّي.. أيّهما المثخن الجراح؟!.. أيّهما السكّين
«الحبّ خبرة متآكلة، طرفاها خاسران»
.يجالسها. يحاورها. يسمعها.. تفاصيل موقفهما ذاك، يتذكّر أنّ دماءه احتشدت في رأسه
«!!لا وقت للانفعالات الحادّة»
.عليه توازنه. هدفه الملحّ نصب وعيه
«لن يخسرها»
.ليس في جعبته - إنْ صح التعبير - سوى سهم أخير
!إبرام اتفاق -
:تحفّز فيها فضولها
!؟اتفاق على ماذا -
:أجاب بعدما وفّق للتخفف من انفعاله
..يعودان للنظر بموضوع طلاقهما -
:استدرك مؤكّداً صدق نواياه
..بشكل جدّي -
:يحدوه طموحه. أكمل
!بعد شهر من الآن -
.خيّل له أنّها طفقت تتأمّل ما قاله. راوده أمله
«..إذا عقد الواحد نيّته على استعادة الآخر، من خلال توفير مناخ الحبّ والرعاية والفهم، فإنّ فسحة الشهر كافية»
.إعمالها ذهنها لثوان. طالعته بعدها بابتسامة باهتة مشبعة يأسا
:وصله صوتها متسائلاً محبطا
!!حتّى في حالتنا هذه -
.لم يدرك القصد
!؟ما بها -
:أجابت بحزن عميق القرار
!أنت تلجأ لأسلوب المناورة -
.هي - بالتوصيف المحدد - أحالته إلى نمط السلوك الملازم لشخصيّته بصفته سياسيّاً محترفا
«..حين تصدر حكماً قطعياً على إنسان ما»
:أُسقط في يده. تفاررت منه كلماته. سادت بينهما لحظات صمت، بادرت بددتها
..أيّاً كان -
:صوتها جاء مصحوباً بزفرة تسليم. لمح ما يشبه نظرة إشفاق أطلّت من عينيها. واصلت
!خُذ شهرين عوضاً عن شهر -
«!؟يصدّق؟!.. أم يشكك»
:المعنى الضمني لعرضها
«نزولاً عند طلب الطرف الأضعف»
.شعور بالإنجاز ينازعه ثان بالمهانة
«!ليكن»
:رددها في دخيلته دون احتفاء. سمعها تستطرد
..وافقتك على المهلة بشرط -
.لسبب في نفسها أبقت جملتها معلّقة
«!؟من منهما يراهن على المجهول»
:قلقه الذي كان يتناهبه. معاناته مهانته.. تشبّث بأهداب رجولته. استحثّها مستوضحا
!؟ما هو الشرط -
:عاد حزنها تشرّب صوتها
!أن لا أواجه بمناورة جديدة -

:لا وقت لكي يعتب أو يحتج
«مهانة من صلب أخرى -»
.سنوات دراستهما الجامعية. تقاربهما منهما. كتمانهما حبهما. إعلانه، ومن ثمّ ارتباطهما زوجين
«يجزم.. لا يعرف المرأة الماثلة أمامه»
.إيمان ليست هذه البتّة. تحوّل الشخصيّة وجه انقلاب، بما لا يُدرك
«!هو الطارئ»
.غصّته تكاد تطبق على حنجرته. اعتياده الآ يجهر بألمه
«هو الحلقة الأضعف الآن»
:لا مفرّ له من تحلّيه برباطة جأشه، لزوم إشعار الشريك - أمورهما آخذة مجراها الاعتيادي. وطّن صوته بمنحى قرار قطعي
!وعده لها ألاّ يناور ثانية -
:كان صادقاً مع ذاته. وصلها صدقه. غمغمت
.سأنتظر -
:كلمتها بإحالتها على المفرد «هي» تفيد بأنّ الحدث يخصّ مصيرها وحدها.. السؤال العابر للذهن
!؟لماذا لم تقل: ننتظر -
:يليه آخر محيّر
«!؟أيّهما في الحضور؟!.. أيّهما برزخ غياب»
:هل يركن لنتيجته
«يكفيه أنّه استخلص وعداً بتأجيل ما هو مقدور»
.«الإنجاز هزيمة مكرّسة، ولا عزاء إزاء الاستعانة بالمقولة الدارجة: «الأجر على قدر المشقة
مناخ الحزن المهيمن. شراكتهما فيه.. هدف لأن يواسيها أو يواسيه. مدّ كفّه لغرض إحتواء كفّها. تفاجأ بها وقد استفزّت .كردّ فعل عفوي
!آسفة -
:تنبّهت اعتذرت. بررت
!لم أقصد -
:لم يصارحها
!ليتها كانت تقصد -
.صرف نفسه من أمامها يحدوه أمل واه
«غداً تكون الحال أفضل»
..الأمل عنصر مقاوّمة، وما دار في خلده - هو الموزّع ما بين الأسى والتمنّي - أنّ الوعد بالمهلة يعني شروعاً بالتنفيذ
á á á
أثينا المدينة - إيمان وأنت - شهر عسل أيام زمان.. أثينا المطار، عبور ترانزيت مزمع، القاعة المحتشدة بهواجس التوقّع، .الآن
«رهين الذاكرة، حبيس المكان»
.أبقوا على سالم وراء واجهة الزجاج الحجري لمكتبهم زهاء ربع ساعة. خرج بعدها ليتخذ مجلسه إلى جانبك
!روتين تافه -
.رددها بهامش انزعاج. راودك فضولك
!؟ما الذي قالوه لك -
:سرق نظرة تجاه جار الأريكة المقابلة. الأخير باق يسبح في ملكوته الخاص. أجاب مهوّنا
.أسئلة ذات طابع عام -
:تناهى اليكما صوت جاركما خفيضا
.ألا إنّ حزب الله هم المفلحون -
.فضولك بخصوص ما يترصّدك باق يراودك. عدت باهتمامك لسالم
!؟ما هو نوع أسئلتهم -
.نمّ فمه عن ابتسامة أراد لها ان تجيء مطمئنة
.مثلما قلت لك سابقا -
:إجابة عامّة محيّرة. استطرد أثر وهلة صمت
.مجرّد تحريّات روتينيّة -

.نبرة صوته - كما حدستها - تفتقر إلى حجّة الإقناع

«لديه ما يخفيه»

:آثرت ألاّ تحرجه. اكتفيت عقّبت بكلمة واحدة اتخذت سمة التمنّي

!عسى -

:صدرت عن جار أريكتكم الثانية غمغمة

..عسى أنْ تكرهوا شيئا -

.تحوّل إليه سالم بنظرة مستغربة لم يلحظها الآخر جراء إطباقه جفنيه، قبل أنْ يواصلك حديثه

.تعاملهم معك سيكون أكثر يسرا -

«!؟ما أدراه»

:تابع

.أنت تحمل جواز سفر دبلوماسيا -

:أزمعت إبداء ملاحظتك

..هم لم يراعوا -

:في حين أومأ سالم برأسه صوب واجهة مكتبهم. قرّب فمه من أذنك. همس لك مساراً مضمناً إحساساً بالخطورة

!!هم في حالة استنفار قصوى -

:حرصه ألاّ يسمع جار الأريكة الثانية ما يقوله. أضاف

!أغلب الظن أنهّم تسلّموا بلاغاً أو إشارة بخصوص عمليّة إرهابية موشكة الحدوث -

.غافلك فمك انفرج بابتسامة سخرية مريرة

«!!مناسبة تواجدنا هنا»

:رددت مسلّما

!كان الله بالعون -

:غمغم جاركم أشبه بمن ينبّه

!مادام العبد بعون نفسه -

:بدرت عن سالم زفرة امتعاض. تذكرت سألته مضمّناً إهتماماً مشاركا

!؟موعد طائرتك -

:نبرة صوته لا تخفي شعوره بالإحباط. اختصر ردّه

!عشر دقائق -

.انشدّت انظاركما إلى باب مكتبهم

..السيّد المحترم سالم -

.نادى بها مسؤولهم لدى مغادرته مكتبهم حاثّاً خطوه باتجاهكم. يده حاملة وثيقة سفر كويتية. هبّ سالم لملاقاته

!أخيرا -

.قالها سالم مطلقاً زفرة ارتياح. أبقى مسؤولهم على وثيقة السفر في يده. كانا يقفان متواجهين.. مبعدة خطوتين من أريكتك

!تقبّلوا اعتذارنا -

:أفاد بها مسؤولهم متوسّماً طابع رسميته. استجاب سالم بالطابع ذاته

.أنتم تؤدّون واجبكم -

:أومأ المسؤول برأسه موافقاً. قال

!لعلّنا سببنا لكم بعض المضايقة -

:جاراه سالم

.لا بأس -

.تطلّع إلى اليد الحاملة لجواز سفره

«!!إدراك الوقت»

الأمر الذي لم يخطر على البال.. بدأ مسؤولهم يتصفّح جواز السفر، كأنّه يبحث عن معلومة محددة. راوح سالم وقفته بين قدميه. كان يبذل قصارى جهده للجم قلقه.

«!!جدوى اعتذارهم ماداموا باقين على نهجهم المثير للريبة»

.أنهى المسؤول تصفّحه. حدّق لسالم في عينيه بنظرة ثابتة

«!؟اختبار نوايا.. أم ماذا»

:قال مراعياً حدود أدبه

..يهمنا أن نعرف -

:لم يوف جملته من فوره. سالم، بدوره، ثبّت نظرته في عيني محدّثه. حرك رأسه بإيماءة خفيفة تفيد

- أفصح عمّا عندك!

:أفصح الآخر محدداً طلبه

- إن كنت ذا صفة عسكرية..!

.شملتك دهشتك

«!؟ما الذي يريدون الوصول اليه»

:خيّل إليك أن جار الاريكة الثانية استفزّ أو استثير، سمعته يردد هامسا

- وما ظلمناهم..

:في الوقت نفسه خيّل إليك أن قسمات وجه سالم وشت بتوتره. بقي صامتاً، ألحّ عليه مسؤولهم

- تلزمنا معرفة ذلك!!

:أطلق سالم زفرة دالّة على إحساسه بالضيق أو المحاصرة. أجاب

- ضابط في سلاح البحريّة الكويتية..

:صمت قصير جداً. أكمل

- رتبة ملازم أوّل ..

:لم يفاجأ مسؤولهم بما سمع. عيناه مازالتا ثابتتين على عيني سالم. يده تشير بجواز سفر. قال متشككا

- هذه المعلومة غير مذكورة هنا!

:كظم سالم غيضه. اختصر توضيحه

- اعتبارات أمنيّة.

:عاجله الآخر بسؤاله

- هل لديك ما يؤكّد؟!

:لو أنّك كنت في مثل موقفه لبدرت عنك لا واعية

«!اللهم طوّلك يا روح»

:عقد سالم حاجبيه. بدا عليه إعماله فكره. وهلة صمت دامت لثلاث ثوان. أجاب بعدها صاغرا

- لدي.

:دسّ يده في جيب صداره. أخرج ورقة مطويّة. نشرها تحت عيني مسؤولهم. قال بغضب منضبط

- أظنّها تفي بالغرض!

:أضاف موضّحاً بانضباطه ذاته

- تصريح رسمي صادر عن حكومتكم الاتحادية، يسمح لحامله..

:إصبعه تشير لصدره. استدرك

- أنا..

:أكمل

- بدخول قواعدكم العسكريّة ..

انطباع خليط من الاستنكار والدهشة عصف بوجه مسؤولهم. فتح عينيه على سعتهما. تداعى ذهنك يستعيد كلمات سالم بصدده:

- هو من الـ.. اف.بي.آي.

:سمعته يبدي استغرابه متسائلا

- قواعدنا؟!

.داخلك شعور بالقلق على سالم

«!؟ماذا لوأنه أخطأ توصيفه للرجل؟!.. وأنّ الأخير مواطن يوناني وليس أمريكيّا»

:لم يطرف سالم بجفنيه. أجاب بما يشبه التحدّي

- إضافة إلى مبنى البنتاغون.

:استجاب رجلهم بأدب

- إذا سمحت!

تسلّم الورقة. دقق نظره.. من جانبك سمحت لك فرصة رؤية جانبيّة. نوع خاص من الورق. شفّ عن شعار الولايات المتحدة الأمريكية باللونين الأحمر والأزرق.. كتابة أنيقة مع صورة شخصية على الطرف الأيمن، بدت وكأنّها من صلب الورقة.

- تشرّفنا بمعرفتك!

ردها مسؤولهم باحترام جمّ بعدما أنهى تدقيقه. طوى الورقة. دسّها بين دفتي وثيقة السفر. دفع بالاثنين لسالم.. الحال بما انتهت إليه. رأيته يمدّ كفّه مصافحا.

- رحلة موّفقة!

á á á

«الشعور بالأمان نعمة لا نفتقدها إلاّ إذا عانينا من فقدانها»

في بلدك، بصرف النظر عمّا قد يصادفك، أنت مؤهّل لاتخاذ إجراء ما، وقائي أو احترازي.. قادر على إعلان احتجاجك، تعبيراً عن رفض، أو تبييتاً لردّ فعل مزمع.. حق مكفول بالمواطنة.

«!؟هنا.. كيف»

حقّك في أن تتصرّف بمصيرك مرهون بغيرك. بآخرين غرباء لا يمتّون إليك بصلة

- إجراء وقتي!

قالها مسؤولهم لمّا اعترضك على سلّم طائرة.. متخذاً قرار الاحتفاظ بجواز سفرك.

«!!جواز الإجراء المضاد لسكينتك»

الوقت - بحساب ساعة معصمك - شارف الظهيرة، بموازاة إحساس مقيت خادع بدأ ينتابك.

«!تواجدي العارض منذ زمن ضارب في ماض غامض»

- واصبر على ما أصابك..

كلمات أخيرة غمغمها جار الأريكة الثانية مخاطباً نفسه، قبل عودته لإطباق جفنيه عليه.

«الاستغراق نوماً وسيلة فضلى لوقت إلزامي.. ترانزيت مطار»

لو نهضت، اقتربت بخطوات متلصصة من مكانه، انحنيت، تشممت الهواء المحيط به..

«!!ما أدراك انْ كانت رائحة المسك باقية»

لا تظنّه لا يعرف أنّ مظهره عامّة، لحيته المدببة خاصة، مثار تأويلات وشكوك رجال أمن عالم أوّل.

«يعرف ويصر»

سالم قالها بقناعة:

- أقل ما يكافئونه به يفوتون عليه موعد رحلته.

«والحال هذه.. أنا بالمثل»

القاعة، سعتها غير المبررة إزاء حضور أريكتين لا غير. وحدكما، كلّ على أريكته. عالمان متجاوران. إمكانية حوار معدومة. لو كان لقاؤكما خلل ظرف آخر.. إمكانية الحوار معدومة أيضاً. عالمان متضادّان. وبعكسه.. كنت وُفّقت لمصادفة لغة تخاطب مشتركة مع إيمان.

تبدد السكون المطنب لقاعتهم بصوت صرير معدني نتج عن انفراج باب مكتبهم.

«لعلّهم ينادون على اسم..»

خاب توقّعك. بابهم لفظ أحد موظفيهم. الأخير لم يعن بالالتفات. حثّ خطوه مبتعداً، غاب في ممر لهم.

الحدث، سرعته، لم تسنح لك فرصة ملاحظته إنْ كان متأبّطاً وثائق سفر، أم.. تحريّات لا أوّل لها ولا..

تحسّ ألماً في فكّيك. تتنبّه إلى أنّك كنت تضغطهما بهما قويّاً. تراودك رغبتك.. تصرخ بجماع صوتك:

- «!!خلّصونا» -

تتذكّر تأكيد سالم في مساررته الأخيرة لك:

- الدور القادم عليك!

لم تجادله. كان يتعجّل اللحاق بطائرته. صافحته متمنّياً له رحلة سعيدة.

«سعادة الرحلة موكولة بالرفقة»

هو وإيمان. علاقتهما الزوجية الآيلة في وقتها. تأجيل المقدور، والفرصة الأخيرة الممنوحة.

- خُذ شهرين..

معاناته صدودها أو إحساسه بالمهانة جرّاء تعاليها تجاه ضعفه لم يفلاّ من عضد طموحه.

«جهده. حكم استعادتها إليه»

بناءً.. تولّدت في ذهنه فكرة ظنّها حيويّة ما فيه الكفاية.. يجددان ذكريات شهر عسلهما برحلة فارهة لهنا.. اليونان.

«محاولة جادّة لتعويض مرتقب»

التمنّي يقترن بالحلم.. يضع حدّاً حاسماً لارتباطاته المعتادة. يقطع كلّ ما له صلة بالعمل الرسمي. يلقي مسؤولياته السياسية ومجاملاته الاجتماعية وراء كتفيه، دون التوقّف عند نتائج مترتّبة.

«!الجرأة لمّا تتخذ سمة النزوة»

دماء شبابيّة بدأت تتدفّق في شراييه.. من حق علاقتهما عليهما أن يمنحا نفسيهما فرصة نوعيّة. توفّر لهما إمكانية إطلالتهما على ذاتيهما. إعادة إحياء بارتياد أماكن اقترنت..

«الحبّ، زمن عنفوانه»

خلال انشغاله - دون علمها - بالإعداد الدقيق للرحلة المزمعة - حجوزات طيران درجة أولى، فنادق حفنة نجوم، تدقيق في برامج زيارات سياحيّة للجزر اليونانيّة - طرأت تحوّلات تدريجيّة على تصرّفات إيمان معه، دفعته لأن يداري ألمه.

«هو الغريب في زوجته!»

علاقة مشاركة. معايشة يومية. بيت واحد.. الأشياء بالمنحى التراكمي. بدءاً.. صارت تمتنع عن تغيير ملابسها بحضوره.

- من فضلك!

استماحة ذات طابع رسمي بنبرة صوت محايدة.

«مباغته الآخر لآخر.. انحراف في التفكير»

يلتمّ على شعوره بالضعة أو التطفّل. يوازنه بإطلاق ضحكة خافتة باهتة في الوقت نفسه.

- مادمت تصرّين!

نزولاً عند رغبة ماذا..

- إن لم تمانع..

مهّدت لاستماحتها الثانية. تابعت:

- حبّذا لو كان للواحد منّا سريره الخاص به!

«المأخوذ كرامة كالمأخوذ غصبا»

إزاء عدم إعلان إعتراضه راكمت استماحاتها.

- أرتاح أكثر إذا نمت في غرفة أخرى!

«..بالإمكان إرجاء مسألة حقوق زوجيّة أساسيّة لحين..فإن خطر له الاقتراب منها»

«صحبتهما!»

- غاب عن ذهني طلب أمّي.. أجري اتصالاً هاتفيا.

«هو الطارئ»

التحوّلات لا تقتصر على علاقتهما الشخصيّة بهما.

- آسفة!

كلمة مفردة جافّة قالتها له عندما طلب منها مرافقته لحضور حفل عشاء شبه رسمي أقامه مسؤول متنفّذ في أحد الفنادق الكبيرة.

- اذهب لوحدك.

عزّ عليه رفضها. ترجّاها.

- اشتراط حضور كلّ مدعو برفقة حرمه!

قالت:

- أعاني صداعاً نصفيّا مدمّراً للأعصاب!

«..يدريها لا»

كان في باله أنْ تكون مناسبة العشاء تلك آخر حضور عام له يسبق موعد رحلتهما.. مساء يومهما التالي.

- راحتك أهم!

ردّدها بتسليم مبيّتاً لتوقيت قريب جدّاً. رهانه على الإنقلاب الدراماتيكي الذي سيطرأ على سلوكها تجاهه وتجاه تفاصيل حياتهما كافّة إذا ما فاجأها في الغد.

«جهّزي الحقائب -!»

غده إيّاه. دخوله منزله حاملاً مغلفاً أنيقاً. رآها - جلسة استرخاء - مسدلة جفنيها تصغي لإذاعة القرآن الكريم.

«لعلّها لم تشعر بوصوله!»

أصدر سعلة منبّهة. فتحت عينيها.

«نظرتها فارغة!»

مدّت يدها لمفتاح المذياع. خفّضت صوته.

- «خير!»

تساؤلها مفرغ بالمثل. لم يتخلّ عن رهانه:

«تعرف.. تطير فرحا!»

اقترب. وقف في حضرتها. حمّل ابتسامة محبّة. دفع إليها بالمغلّف. لم تمدّ يدها. تساءلت ببرود يشفّ امتعاضا:

- ما هذا؟!

.غاضت ابتسامته في وجهه. تكاثف حزنه في حنجرته
«!!تعامله وكأنّه نكرة.. طفيلي»
:هل يختفي من أمامها محتفظاً بمغلّفه؟!.. أم يجد لها عذراً يناسب برودها.. على افتراض حدسها
«المغلّف يحوي بطاقات دعوة.. تخصّ إحدى حفلات مقتضيات مركزه»
:آثر الأخذ باحتمال العذر المفترض. استجمع هدوءه. أجاب تساؤلها
.تذاكر سفر -
:صدمه تعبيرها الآلي
!بالسلامة -
.كابر نفسه. تجاوز كبرياءه
«سوء فهم.. ربّما»
:أراد أنْ يبعث شيئاً من الحيوية في صوته. قال
..تذاكر السفر لهما -
:ولأنّه لم يستثر فضولها أو اهتمامها. أوضح
..سفرة خاصّة، هي وهو، اليونان، مدّة أسبوعين، قابلة للـ -
:قاطعته متسائلة باستنكار واضح
!؟ما أدراك أنّي راغبة في سفر -
.تساؤلها لا يقبل إجابة. نهضت من مقعدها
.ذاهبة لغرفتي -
.تذكّرت حملت مذياعها. تلاوة القرآن الكريم تتواصل بصوت خافت
«!؟هو.. أين»
.تذكّر حمل مغلّفه معه. دخل الغرفة التي نُزعت عنها صفة الزوجيّة. استغرقه وقته لكي يستعيد حضوره فيه
«شتات الوعي بالشيء»
..أجرى اتصالات هاتفية ألغى حجوزات.. التخطيط الدقيق لرحلة نصف شهر عسل مستعاد
«!!اخرس»
.خير علاج لحالة ارتكاب الوعي هو الكي
«الطلاق»
.لولا الشعور الحارق بخسارة إنسان يحتلّ المركز منه، قلبه.. لمّا يجيء عليه يوم لا تكون فيه إيمان جزءاً من حياته
«زمن قاحل»
.مساء يومه الذي كان - كما هو مفترض - موعوداً.. يجدر به - وهذا نوع من تعويض مجاني - أنْ يرتكب نزوة تافهة
خلع ثيابه التي اعتاد عليها في مناسباته الرسميّة وغير.. الدشداشة، الغترة المنشّاة، العقال.. شرّع خزانة ملابسه. التقط
.«سروال جينز وقميص «تي شيرت
.مغادرته.. إيمان تلازم غرفتها.. لمحته الخادمة ميري. لم تدارِ ابتسامتها. عيناها صرّحتا بدهشتها
شاء ممارسة حالة ضياع وسط عامّة الناس، حيث لا يعرفه أحد بصفته. قادته نزوته نحو مجمّع تجاري. زحمة المتسوقين.
.صادف قاعة لعرض الأفلام
«آخر عهده بارتياد دار سينما.. أيام دراسته الثانوية»
.لم يفقه أيّاً من أحداث الفيلم الأمريكي.. عاد لبيته مع منتصف الليل
«!؟ما الذي أبقاها مستيقظة»
.جلستها. مقعدها. مذياعها في متناولها
«!أجدى به أن يحيي من باب الأدب»
.همّ بذلك، لولا أنّها تفحّصت مظهره بنظرة ازدراء. تطامى غضبه في صدره
«الرجال قوّامون على النساء»
لو توجّه إليها. وقف أمامها. شهر كفّه. صفعة مدوّية.. لكنّهما، سنواتهما كلّها - لم يفعل، لم يُسمعها كلمة قاسية، عدا عن
:أمر كان حاضراً بينهما.. مذياعها. وهو يختليه غرفته شغل ذهنه سؤاله
«!؟لو أنّه استعان بيده، أشبع المعنيّة ضرباً، هل ستعود لرشدها.. تغفل طلب طلاقها»

إيمان.. المنحى التراكمي لأحداثها الصغيرة يجيء غفلاً.. ظهيرة يومهما التالي، فوجأ بوصول خادمة فلبينيّة شابّة محجّبة برفقة حقيبة سفر صغيرة.

«ربّ البيت لا علم له!!»

احتجاجه في اللاأوان. قالت له إيمان:

- بناءً على طلب منّي.

قالت:

- أردتها مسلمة.

قالت:

- تتولّى رعاية شؤوني.

ليس احتجاجاً بمعناه.. قال لها يذكّرها لا غير:

- لدينا ميري.. هي قادرة على..

قاطعته:

- ميري تختص بشؤونك.

«الفصل تلو الفصل تلو الفصل»

ركبه إحساس مقيت. هواء بيته ما عاد صالحاً لتنفّسه. أسبوعان مرّا منذ المهلة التي أبرماها.

«الوقت المتبقّي حتّى ساعة صفرهما.. ستة أسابيع ونيّف»

يجالد ألمه. يجدر به ألاّ يستسلم لها. يوافقها طلبها. يفرّط بها. يدري عنه، لو كان هو صاحب قرار ألفك لما عاناه بالصيغة.. ليس سوى حلّ وحيد متوفّر..

«يختفي من أمام عينيها!»

فكرة السفر مازالت قائمة. ليكن وحده.. شرط ألاّ يتوجّه إلى مكان حاضن لذكريات مشتركة.

أجرى حجوزاته. وجهته دمشق. قرر أن يغيب خمسة عشر يوماً. لعلّها تفتقده.. تعيد النظر.

«إيمان يعرفها.. رائعة بالفطرة»

اغتنم إحدى حالات غيابها عن المنزل. التأثير سيكون أشد وقعاً. استعان بميري:

- أعدّي حقيبتي!

القلق يتحوّل إلى توتّر غير محتمل.. الخدر - جرّاء جلوسك الطويل على الأريكة المعدنية - بدأ من ركبتيك. إرتفع أعلى. أمسك بعظام الحوض.

«كأنني واحد مفرد.. في العزلة!»

قاعتهم. هم وراء واجهة مكتبهم. لا نأمة.

«يعملون بصمت لا تنقصه ريبة»

جار الأريكة الثانية.. كما في الغياب. لازم هدوءه مطبقاً جفنيه.

«هل ناله خدر الجلوس لمدّة مفتوحة؟!»

احتياجك لان تطلق قدميك قليلاً. علاج حالة الخدر. سرقت نظرة نحو زجاجهم الحجري.

«باقون في الداخل»

نهضت من على الأريكة. إرهاقك وقد بلغ أشدّه. راوحت قدميك في المكان. بدرت عنك أنّه خافتة. أخذت تذرع المساحة الفاصلة بين الأريكتين ذهاباً إيابا.

فتح جارك عينه.

«ما الذي استثاره منّي؟!»

سمعته يردد بصوت مسموع هذه المرّة:

- إنّ مع العسر يسرا!!

كلماته لا تمتّ للتعبير عن إحساس بالمشاركة، لكنّها تؤدي غرضاً واضحاً مفاده زجر الآخر. وددت لو تقف أمامه. تبدأه تحيّة بواعز الفرض الثقيل.

لا تمهله الرد، تسأله بعنف:

- ماذا تريد؟!

ولا تتقمّص دوره. تردّ صاعه له:

- المسلم من..

وسط انشغالك بجدلك الداخلي. فُتح باب مكتبهم. أطلّ منه رأس مسؤولهم رافعاً صوته:

- السيد المحترم أحمد..

فاجأك جسدك انتفض برعشة خفيّة. أوّل ما تبادر لذهنك:

«الدور بالترتيب الذي حدسه سالم!»

استجبت للنداء:

- حاضر!

شغلك احتفاؤك عن أن تخالس النظر لجارك.

«رحلة برلين.. قيامها. الوقت المتبقّي بالكاد..»

حثثت خطوك. شرّع مسؤولهم باب مكتبهم مُفسحاً لك سبيل عبورك إلى الداخل. بادر أطبقه.

«تقصّيهم. شؤونهم الأمنيّة!»

المكتب مساحة محددة باعثة على الإنكتام. لاحظت وجود ثلاثة موظفين بسن الشباب ينكبّون على أجهزة حاسوب مثبتّة أمامهم. لا وجود لمقاعد جلوس إضافيّة. بقيتما - مسؤولهم وأنت - واقفين.

«حكمتهم.. إدارتهم عملهم!!»

ناشدت نفسك:

«لا مكان لتلميح باستغراب أو احتجاج.. وجوب مراعاة الهدوء مدعّماً برباطة جأش وحضور كلّي للذهن»

مدّ مسؤولهم يده إلى طاولة قريبة. جواز سفرك كان هناك. التقطه، قبل أنْ يبادرك:

- أنت السيّد أحمد..؟!

«من حيث البدء!!»

هل تلازم صمتك، تواجهه بابتسامة مفارقة؟!.. نبرة صوته منحى تساؤل يتضمّن إقراراً، أو تمهيداً لسؤال تال. خشيتك من أنْ يتسبب حرنك باستفزاز مؤذٍ، وجدتك تقرّ له:

- أنا أحمد.

انشغل زمناً بتصفّح أوراق جوازك.

«من حيث البدء.. سبق له أن..»

توقّف عند إحدى الصفحات. قرّبها إليك.

- ما هذه؟!

إصبعه إشارة محددة. ظرفك يقتضي المجاراة. حدّقت. طالعك ملصق ملوّن بحجم الصفحة.

«جدوى استغفاله لي؟!»

محاولة معرفة الأسباب الداعية.

«التحرّي أو الاستجواب أساليب لا حصر لها، لكنّها - الأمر المفروغ منه - واضحة الأهداف!!»

يقف أمامك. يستحثّك ببرود ما بعده:

- نريد أنْ نعرف!

لأنّهم يريدون.. أجبت بتفصيل واف:

- تصريح.. فيزا، صادرة عن السفارة الألمانية في دولة الكويت. تخوّل الشخص الممنوحة له حقّ دخول دول الاتحاد الأوربي.

باغته سؤاله:

- أنت كويتي؟!

أحسستك مستفزّاً عنوة.

«التحرّي مغاير للتعدي!!»

أخذت شهيقاً لصدرك. تشبّثت بأطراف هدوء مفتعل، صنف من بشر لا تعرفهم، خبرة لم تألفها. أجبت على سؤاله بتساؤل يكاد يلامس حدود الاستهانة أو الاستهجان:

- ما الذي يمكن أن أكونه؟!

أمرك مترسّماً تهذيبه:

- أجب بنعم، أو بالنفي!

- نعم.

أصدر حمحمة خافتة. حدّق إليك في عينيك.

«الوقاحة بعينها!!»

جفناه لا يطرفان. نظرته الحادّة الثابتة تهدف لاستشفاف صدقك من كذبك. حضرك استنتاجك:

«جرّاء هذا النمط من السلوك الاستفزازي ثار جون عليهم. رفع صوته صارخاً في وجوههم»

لكنّك - ظرفك ذاته - تذكّرت:

«سالم لم يعلِ صوته»

:ظرفك ذاته.. أطلق مسؤولهم سؤالاً زئبقيا

- أنت متأكّد؟!

.الإحالة على مواطنيّتك. غضبك يحاصرك داخل صدرك

«الى أين يقودني؟!»

:أجبته بتحذير باد

- جوازات السفر الدبلوماسيّة لا تُمنح جزافا!

:قال مراوغا

- هنا مبعث الشك!

.تعامله معك أخذ ينحو منحى الإهانة المقصودة

«يقودني إلى أين؟!»

:لم توفّق لمداراة استهجانك الواضح في نبرة صوتك لدى استفسارك

- الشك بي.. أم بجواز السفر الدبلوماسي؟!

:أجاب من فوره

- بالاثنين!

..احتدمت من داخلك كما لم يسبق

«كيف يجرؤ؟!»

.لو كان المسؤول من بلدك.. لو كنت هناك لما تهاونت بردّ الإهانة، هم - هنا - يستهدفون كرامة الفرد

«الشكوى - الحال قائمة - لمن؟!.. طلب المشورة أو العون ممن؟!»

حصار المكان. مسؤولهم وأنت تقفان متواجهين. الموظفون الثلاثة ينشغلون - اهتمامهم كلّه - بالعمل على أجهزتهم، يبدون .وكأنّ الذي يحدث في الجوار منهم لا يعنيهم بالمرّة

«آليّون، أو استنساخ معدّل!»

.شملك فجأة إحساس باللامبالاة

«لا شيء يستحق!»

..حياتك برمّتها - مجاراة لما آلت إليه - ليست تحتوي ما يستحق.. هناك، أو هنا، أو أيّ مكان من هذا العالم المحكوم «نفي الآخر»

:أردت لصوتك ألاّ يجيء صلفاً تماماً. سألته بنفاد صبر منضبط

- ماذا تريدون منّي.. تحديدا؟!

:أجابك بصلافة منضبطة أكثر

- نريد معرفة الحقيقة!

:ردّك عليه كيف؟!.. الحيرة عندما تقترن بالعجز والشعور بالظلم غير المبرر. سؤال يوحي بالتسليم

- ما الذي تقترحونه.. إذن؟!

صمت مسؤولهم لثوان قضاها بتفحّص صفحة جواز سفرك الحاملة لملصق سمة دخول دول الاتحاد الأوربي. عيناك .ترصدانه بقنوط. قرّب الصفحة إيّاها منك مشيراً بإصبعه إلى طرف الصفحة

- ما هذا؟!

:تتطلّع إلى حيث أشار. لم تر ما يلفت النظر. ترد

- لا أرى شيئاً غريبا.

:حاججك بصيغة اتهام

- هناك تلاعب!!

:عيناه في عينيك. تابع

- نشكّ أنْ تكون سمة الدخول مزوّرة!!

«..يشكّ.. أو يفتعل الشك لمجرّد الإساءة، تنفيساً عن كراهية ما بعد حدث برجي التجارة العالمية ومترو الأنفاق و ..أيام الماقبل اتسمت إجراءاتهم بالبساطة.. كانوا يعاملون الواحد بالترحيب والاحترام الفائق

:لو جار الأريكة الثانية لردد

- لا تزر وازرة..

:سألت مسؤولهم مجاراة

- مدعاة الشك؟!

:لم يتأخر إجابته

- يوجد كشط.. أوحك!

.دورك في أن ينتابك شكك

«!!لعلّه كذلك»

.صدرت عنك حركة عفوية. خطفت جواز سفرك. حدّقت

«!ليس ما يدعو للريبة»

:قلت له على طريقته

- .آسف.. لم أر كشطاً أو ما شابه

:قال

- .التحريف الطارئ على ملصق التصريح لا يرى بالعين المجرّدة

«..لأنّ شر البليّة»

.دون إيعاز مقصود منك صدرت عنك ضحكة مفارقة مريرة

- ..الأمر الأصح

:قلتها بقناعة أليمة. استطردت موضّحا

- !نحن الطارئون على مجتمعاتكم

:لم يستثره ردّ فعلك. خُيّل إليك أنّ عينيه صرّحتا عن إبتسامة ما، سارع لتجاوزها، بما أثار تساؤلك من داخل

«!؟تشفّ.. أم حصيلة إنجاز»

.حتّى لا تسوء الحال أكثر، فتتعرّض لإهانة من نوع ثقيل. مددت يدك إليه بجواز سفرك

- ..مادمتم واثقين من حدوث عملية تزوير

:قلتها باستسلام حزين. أكملت

- !اتخذوا الإجراء المناسب لكم

:فوجئت بسؤاله لك

- !؟مثل ماذا

:تذكّرت توصيف سالم

«اف.بي.آي.. الحذلقة»

:ابتسمت بدالّة الاستعداد. أجبت بواعز الاختيار

- ..تعيدوني إلى بلدي، أو

:آثرت عدم إكمال جملتك، أومأ برأسه كمن يستحثّ محدّثه. واصلت

- !تحتجزوني عندكم ريثما تستوفون تحرياتكم

:للمرّة الثانيّة خُيّل لك أنّ ابتسامة ما طوّفت وراء عينيه. تشجّعت أضفت

- !أو تسمحون لي بأدراك موعد رحلتي

:صمت لثانيتين. قال لك أشبه بمن يصارحك

- !نحن نطمح لمساعدتك

«!!كما التحوّل الجذري في الشخصيّة»

:نبرة صوته تحوي هامشاً من صداقة مفترضة. قال

- .أنت إنسان متزن

:قال

- ..خشيتنا لا تتمثّل في تزوير محتمل لسمة الدخول

:ترك جملته مفتوحة برهة. ترزح تحت وطأة مخاوف غامضة. عيناك تترصدان شفتيه. قال

- !خوفنا أن يكون جواز السفر مسروقاً، أو منتحلا

«!!تحوّل جذري في الشخصيّة.. إلى الأسوأ»

:نشط ذهنك. استنتج

«!!أنْ أكون لصّاً.. أو أنّي انتحلت الاسم الوارد»

:حاججته

- !!صورتي المثبتة

:قال

- .محترفو التزييف يحسنون استبدال الصور

«الـ أف.بي.آي.. صرت - بمشيئة مسؤولهم هذا - طرفاً في واحد من أفلام جاسوسيتهم»

:أزمعت إبداء مداخلتك أو اعتراضك لولا مواصلته

- هناك سابقة بخصوص وثائق السفر الكويتيّة.

:اعتراض أخرس

«!وثائق سفر أمريكيّة ومثلها أوربيّة، أبعد ما يكون»

:تكاد تحدس في دخيلتك

«لو كان جواز سفر عادّياً لاختلف الموقف»

:تكاد تجزم

«مظهري الشخصي له يوحي بالأهميّة المسبغة على وثيقة سفري»

- الحل؟!

:سألته دون رجاء. استدركت بسخرية مُحالة عليك

- إنْ كان هناك حل!!

:قال

- الحل.. أن تثبت لنا أنّك صاحب الجواز.

«هنا.. غرائبيّة الظرف. تواجدك وسط هؤلاء الأغراب.. بإمكانك ألاّ تكون أحمد.. ولا سواه»

:سألته دون طموح فعلي لخلاص منجز

- كيف؟!

.لم يجبك على سؤالك مباشرة. خطا إلى ما وراء مكتب أحد موظفيه. عاد يقلّب صفحات جواز سفرك

«جواز تعرفه، زحمة أختام مطارات كثيرة، عدا عن ملصقات سمّات دخول دول عديدة»

توقّف عند إحدى الصفحات. مدّ يده بالصفحة المفتوحة أمام عيني الموظف. حدّق الأخير فيها. بدأ ينقر على لوحة مفاتيح حاسوبه.

«!لو أعرف»

مكانك حيث تقف.. حواسيبهم كلّها تولي ظهورها إليك. أبقى مسؤولهم بصره على شاشة حاسوبهم. ثوان، ثم واجهك بسؤاله:

- آخر مرّة زرت فيها ألمانيا الاتحادية؟

:يخونك استيعابك لغرضه. يضيف

- متى كانت؟!

سؤال صادم. طوال حياتك لم تزر ألمانيا سوى مرتين. الأولى.. مطلع سنوات شبابك، لمّا كانت ألمانيا تتشكّل دولتين، قبل السقوط التاريخي لجدار برلين.

«..الثانية منذ

.تعتصر ذهنك. تجدك حالة مقاربة. الفترة الفاصلة عن الرحلة تراوح ما بين أربع سنوات.. خمس، ربّما

«!لو كنت عارفاً بما يترصّدني لحفظت الدرس غيبا»

.ليتهم سألوك عن رحلة قمت بها قبل أسابيع، أشهر، سنة على أكبر تقدير

«..أمّا والحالة موغلة في البعد»

:قلت لهم

- قبل ما يقرب من خمسة أعوام.

:حدّق فيك مسؤولهم بنظرة تحدّ. فاضلت

- ما يزيد على أربعة أعوام.

:قال لك بواعز الحسم

- نريد تعييناً دقيقاً لتأريخ رحلتك الأخيرة..

:وهلة صمت قصيرة جدّاً، استطرد مشترطا

- باليوم والشهر والسنّة!

«!!تعجيز عن سابق قصد»

اختلطت عليك حسبتك. ذهنك - اعتيادته عمله - أبعد ما يكون عن قدرة الحاسوب الملقّم بالمعلومة على تلبية أوامر صادرة إليه.

«يلزمهم أخذ ذلك بنظر اعتبارهم»

:قلت له

- أنا إنسان كثير الأسفار.. طبيعة المهام الموكلة.. جواز السفر يؤكد!

:لم يعقّب. أضفت من موقع الحجّة

.لا أحتفظ بكشف تفصيلي لسفراتي السابقة -

..أنت في واد وهو

:واجهك بسؤال خلته مكرراً ساذجا

!؟المحطّة الأخيرة لرحلتك اليوم -

:تشكوه أم ترثي له؟!.. أجبته تحصيل حاصل

.برلين -

..مادمت قاصداً برلين -

:قالها مشدداً على مخارج حروفه. تابع

!!لا بد لك من معرفة تاريخ رحلتك السابقة إليها -

:أزمعت تردّ. أضاف بنبرة إدانة مشيراً بجواز سفرك

!وبعكسه.. نرى أنفسنا ضمن دائرة الشك في أنْ تكون صاحب وثيقة السفر الدبلوماسية هذه -

«!!أنا المنتحل»

:هل تحاججه معلناً غضبك

..أنت لا تملك حق امتهان كرامة إنسان ما تلصق به تهمة -

:تقاطعت تداعياتك مع إلحاحه

!؟ما رأيك -

خلل إحساسك الضارب بالحيرة والمحاصرة والغضب الداخلي تنبّهت إلى أنّ موظّفيه الثلاثة كفّوا عن العمل على حواسيبهم

:طفقوا يصغون باهتمام للحوار الدائر بينك وبينه. أجبته مقهورا

!رأيي.. أنّكم مغالون في تحرّياتكم -

:لأنّه اكتفى بالنظر إليك، واصلت بعتب غاضب

!!تنقصكم مقدرة التمييز بين الإرهابي الذي تخشونه والآخر الحليف، بصفته مشروع ضحيّة قبلكم -

:لوهلة عابرة خلته سيردّ غضبك بمثله. وجدته يسألك مصطنعاً فضولا

!؟كيف -

:لم تقُل له

.لا أملك خبرة أحد العاملين في الـ.. أف.بي.آي -

:شملك إدراكك

«..أنا الذي غاليت.. يجدر بي»

!تقبّلوا أسفي -

:قلتها متخففاً من غلواء انفعالك، فإن أحلتك إليك

«..أتقبّل تعازيي برحلتي»

.وجهتك برلين، وها أنت - على الضدّ مما هو متوقّع - تعيش كابوس ترانزيت في أثينا

مسؤولهم يبقي عينيه عليك، ينتظر ردّك. موظّفوه الثلاثة يراقبون صامتين. ذهنك - في وهلة الزمن المغفل تلك - أُضيء بالكلمة: أثينا.

«إيمان.أنا. شهرنا»

.شددت من أزرك

«!لا مانع من المحاولة»

:قلت لهم

.بامكاني ان أتذكّر تاريخ أولى رحلاتي لهنا.. أثينا -

:تبادل الموظّفون الثلاثة همهمات خافتة. استنتجت من جانبك

«!أدلي بمعلومة لا تمثّل أهميّة»

:عدت شجّعت نفسك

«..لن أخسر أكثر مما»

:أزمعت مواصلتك لحظة تدخّل مسؤولهم منبّهاً أو محذّرا

.جواز سفرك لا يحمل أيّ ختم يفيد بدخولك الأراضي اليونانيّة -

:وافقته

!معك حق -

:رفع حاجبيه مستغرباً. تابعت موضّحا

.جواز سفري، وقتها، لم يكن دبلوماسيا -
:شعوره بالاستثارة أو التوقّع يطلّ من عينيه. أضفت مومئاً برأسك نحو يده
.يختلف عن هذا -
:لم تتريّث عندك تسألك إن كان مهتمّاً فعلاً بسماعك. كان ذهنك حالة احتشاد قصوى. غالبتك ذكراك. أدليت
.رحلتي الأولى لهنا كانت صبيحة اليوم الثاني من شهر ابريل، قبل عشرين سنة بالضبط -
.إيمان الحاضرة فيك الآن. هفا قلبك أم لم.. سرت همهمات موظّفيهم الثلاثة فيما بينهم بوضوح أكبر
«هم يونانيون.. على العكس من مسؤولهم»
.وشت قسمات وجه الأخير باهتمامه. تبادل مع الآخرين نظرات استشارة. انتهت بأن ناولك قصاصة ورق وقلما
!اكتب التاريخ الذي ذكرته -
«حدس خلاص.. ربّما»
:خلال انشغالك بالتدوين أبديت ملاحظتك
!منذ عشرين سنة خلت.. لا وجود للحاسوب -
:انبرى مسؤولهم قال
..قبل شهرين.. أنهوا تخزين معلومات القادمين والمغادرين لربع قرن ماض في حاسوب مركزي واحد -
.شعرت بحيوّية وليدة آخذة تتشرّبك
«!تبادل مواقع»
..بدلاً من أن تمدّهم بمعلومات تعرفها صاروا هم
«واعز مشاركة إنسانيّة»
أنهيت تدوين تاريخ يومك المحفور في مخيّلتك. نشط أحد موظفيهم الثلاثة. نهض عن مقعده. خطف قصاصة الورق من .يدك. سارع باتجاه الزاوية الأبعد للمكتب. حيث يوجد جهاز حاسوب منفصل. لحق به موظف ثان
«!سباق مع الحظ»
الاثنان ينكّبان على الجهاز. روح التحدّي تسود مناخ المكتب. شيء أشبه بانتماء الواحد للآخر. واعزهم في أن يجتازوا إمتحانهم بك. حالة صمت موقوت تخلخل جزئياً جرّاء نقر الأصابع على لوحة مفاتيح الحاسوب، أعقبتها وهلة انتظار لاهف.
:علا إثرها صوت أحد الشابين بواعز الفعل المنجز
!المعلومة صحيحة -
تنفّست - توّك - صعداءك. المفارقة في إثبات أنّك تنتحل شخصيّتك، كما الاحتفاء بالحدث. عيونهم بدأت تصرّح عن شعورهم .بالألفة تجاهك. انفرج فم مسؤولهم - توّه - بابتسامة عريضة
«الصحبة أبان تحققها»
.امتدت يده إليك بجواز سفرك
.إجراءاتنا نكرهها -
:التبرير بمنحى المكاشفة. واصل
.البعض من مسلميكم اضطرّونا للأخذ بها -
:استعدت كلمات قالها سالم لهم
.أنتم تؤدّون واجبكم -
:أثار تعقيبه استغرابك
!من غير متعة -
.اكتفيت شاركته الابتسام. تطلّع نحو ساعة مثبّتة على الجدار
!بامكانك إدراك موعد رحلتك -
.تطوّع سبقك إلى الباب. فتحه. أشار بامتداد ذراعه
.تتجه نحو ذلك المخرج. تسلك الممر الذي يليه. تجد من يتولى أخذك إلى مدرج طائرتك -
..فاتك أنْ تشدّ على يده. الوقت حالة سباق
«..لدى بلوغي مطار برلين.. هل تصادفني إجراءات»
:تسترجع ما خلص إليه سالم
«هم حالة استنفار قصوى.. أغلب الظن.. تسلّموا بلاغاً.. عملية إرهابية موشكة الحدوث -»
.خطواتك المتسارعة.. عند اجتيازك - غير بعيد عن موقع الأريكتين - استثارك أنفك ثانية. تشمم رائحة المسك
«..حكم الاعتياد ما عاد»
.شاهدته ساكناً في جلسته

«!؟وجهته.. أين»
.صادفت عينيه الخرزيتين. لمست شعوراً بالغربة، ينازعه آخر بنفاد الصبر
á á á
.سارعوا وفّروا له سيارة باص صغيرة، بزجاج غير مضبب، أقلّته إلى حيث تقف الطائرة استعداداً للإقلاع
«آخر الملتحقين»
مقصورة ركاب الدرجة الأولى أكثر سعة من سابقتها. ثمانية مقاعد وثيرة تنتظم صفّين. أربعة رجال ألمان يشغلون مقاعد
.الصف الخلفي. لا راكب يشغل أيّاً من مقاعد الصف الأمامي
«مدعاة راحة»
.اختار مكاناً عند النافذة. أطلّ. الباص التي جاءت به آخذة تبتعد
«حرصهم ألاّ يتسببوا في تأخير ركّابهم»
.علا هدير محرّكات الطائرة
!رجاء ربط الأحزمة -
تنبّه لظهور شاب حسن الهندام رياضي الجسد حاملاً حقيبة سامسونايت، قادماً من ناحية مقصورة ركّاب الدرجة السياحية.
.حيّاه بإيماءة خفيفة من رأسه. احتل المقعد القريب للممر واضعاً حقيبته على المقعد الكائن عند النافذة
..يسرّ قائد الطائرة الكابتن -
.الوقت ما بعد الظهر. السماء رقعة عريضة يراوح لونها ما بين الرصاصي اللامع والأخضر الباهت
«لا أثر لغيوم الضحى»
..الزمن المتوقّع لبلوغ مطار برلين -
:اقتربت إحدى مضيفاتهم. انحنت بنصف جسدها الأعلى. تسألت برقّة
!عفواً.. هل ترغب بشراب معيّن -
في الطائرة التي أقلّته من دمشق إلى الكويت، منذ ما يقرب من خمس عشرة سنة. اقتربت من مقعده إحدى المضيفات دافعة
:أمامها عربة محمّلة بعيّنات بضائع السوق الحرّة. انحنت بنصف جسدها الأعلى. تساءلت برقّة
!؟عفواً.. هل ترغب بشراء شيء معين -
قراره بالسفر إلى دمشق وحيداً، بدلاً من رحلة حلم إلى اليونان تشاركه فيها إيمان.. خمسة عشر يوم فراق.. علّ روح
..الواحد منهما - في حالة غياب الآخر - تصحو، تخلي مكاناً لعامل الشوق أو الفقد
«يعدل عن قرار الفك»
:المضيفة على انحناءتها عنده. تنتظر ردّه. الفكرة الواردة
.مجموعة مختارة من عطور نسائيّة باريسيّة -
.إيمان يعرفها بصفتها الأنثى
«ليس أضعف منها بمواجهة غرشة عطر فاخر»
تعمّد خلال سفرته ألاّ يجري اتصالاً هاتفياً. لا بأس أن يثير قلقها. يترك لها فرصة معرفة ما الذي يعنيه الفراغ المترتّب عن
.اختفاء الشريك دون علم مسبق
أفكاره تحتدم برأسه. سيصل بيته. يظهر أمام إيمان فجأة. يعفو عمّا بدر. إن كانت معضلتها انتفاء قدرتها على الإنجاب تقدّم
:إليها باقتراحه
«يتبنّيان طفلا»
.الإرادة البشرية مؤهّلة لتجاوز العقبات، عبوراً إلى المعجزات
«في الحبّ أيضا»
.مطار الكويت الدولي. سنة أولى زواج. يتذكّر عن عصرهما ذاك.. لدى عودته من سفرات عمل قصيرة يجدها بانتظاره
«شوقها - أيامهما تلك - يزحم عينيها. فإن رآها وسط زحمة المستقبلين رفّ قلبه. تفتّحت كواه عليها»
.عودته هذه، لا أحد.. لكنّه - ببلاهة أو غياب ذهن - راح يبحث وسط وجوه الخلق
«حتّى المصادفات لا تأتي اعتباطا»
.وصوله لعند باب بيته. سيّارتها متوقّفة في الجوار
«ضمان تواجدها هنا»
.هو وحقيبته والكيس الأنيق الحاوي عطوراً باريسيّة. استعان على الباب بمفتاحه
«رهان المفاجأة»

.دخل. رأى الخادمة ميري منشغلة بتنظيف أرضية صالة الاستقبال. تهللت أساريرها حال رؤيتها له

!السلامة.. سيدي -

:ردّ تحيّتها. سألها أين سيّدتها. أجابت

.في غرفتها -

:استدركت أضافت

.تستعد للخروج -

:من المناسب أنّه أدركها قبل مغادرتها. لحظتها سمع صوتها تخاطب خادمتها بمعنى الأهميّة

!اسرعي.. فاطمة، وقتنا ضيّق -

.وقع حذائها لدى اقترابها، ومن ثم ظهورها.. شدهه مظهرها

«!؟قيد انقلاب.. طوال سنواتها كلّها لم تعن بلبس الحجاب، لم يطرأ على بالها أن.. لماذا الآن»

:تواجههما. إيمان، بدورها، شدهها حضوره المفاجئ. استيعابها للموقف. قالت

!سلام -

:صوتها منزوع الفرحة. قالت

!لم تخبّر عن موعد وصولك -

:كلماتها لا تمت للعتب بصلة. قالت

.أنا بصدد الذهاب -

:بالإخبار وحده. قالت

.حضور درس فقهي -

:بقصد الإخبار وحده. قالت

.الدرس مقصور على النساء -

«..؟هل دار في باله أن»

:قالت

!هيا بنا يا فاطمة -

.؟السماع. الرؤية. الحضور. هو في الغياب. لمس ما يشبه نظرة نفور أطلّت من عيني فاطمة. كانت تتأبّط ما يشبه ملّفا «كراريس الدرس، أو ما يشبه»

:قبل مغادرة الاثنتين التفتت إيمان. أشارت نحو حقيبته المستقرّة أرضاً. قالت

.يا مريم.. خُذي حقيبة سيّدك لغرفته -

á á á

ملكيّته الصغيرة. بيته. صالة الاستقبال منه. وقوفه هناك. أقرب إلى حالة إقفار، يقابلها فراغ داخلي مترام. أرضه لا تميد به، لكنّه الذهول وتقصير الذهن عن لملمة أطراف لوحة غرائبية. اختار أقرب مقعد. الكيس الذي تسلّمه من مضيفة الطائرة مازال .عالقاً في يده. ميري تنحني على حقيبته، تهمّ بحملها. استدعاها إليه

!نعم سيّدي -

.تشتته أفكاره.. وهو يزمع تسليمها الكيس. تريّث ذهنه بدافع فضول طارئ عند تسميّة إيمان لها

!؟لماذا.. مريم -

:انفرج فمها بابتسامة حزينة. أجابت

.هذا ما ارتأته سيدتي -

!؟لماذا -

:شفتاها ارتعشتا. قالت

.؟أرادته اسماً إسلاميا -

:المدّة التي غابها عن البيت.. هل يسأل

«!؟منذ متى -»

:استطردت ميري

.هذا ما قالته لي -

الحالة الموقف.. المنحى التراكمي لتحوّلات إيمان. يراه عاجزاً عن ملاحقة أسباب فهمه. مدّ يده بالكيس. تسلّمته ميري.

:تساءلت

!؟ما هذا.. سيدي -

.عطور نسائية -

:طوّفت وجهها سحابة حيرة. تساءلت

!؟أين أضعه -

:سبّقت عليه ردّه. استدركت

- سيّدتي ما عادت تسمح لي بدخول غرفتها.

:هل يسأل

«!؟لماذا -»

:أساها يستوطن صوتها. تابعت

- إلاّ إذا اعتنقت الإسلام!

:المدّة التي غابها عن البيت.. سمع ميري تواصل

- لهذا السبب انتظرت عودتك.. سيّدي.

:حزنها يقبض على صوتها بأقوى. لا يدري إنْ كانت مؤهلة لحبس دموعها أكثر. أضافت محبطة

- لكي أستأذنك، أبحث لنفسي عن عمل ثان !..

«يستحكم اليأس، يصفو الذهن»

.نصح ميري ألاّ تتعجّل قرار ترك المنزل

«لا إكراه في الدين»

.حقيبته إلى غرفته. عطوره.. بإمكانها الاحتفاظ بها

- سيّدي!!

.لم تكمل جملتها. خانتها عيناها طفحتا دموعاً. سارعت دارت وجهها بكفّيها

«الضعف - إزاء حالات محددة - سمة ملازمة للمراوحة في المكان.. أو في الحب»

.هو - على الرغم من.. - أقوى مما يخاله. الوضع القائم بحكم الأمر المعلّق

..في حين أنّ الأمر المتفق عليه

«خير البرّ عاجله»

..بالعودة إليه أو عنه

á á á

.عودة إيمان من درسها الفقهي. استوقفها. لديه ما يقوله لها

- خير؟!

- أو انعتاق.

.طرفت بجفنيها

- لم أفهم!

إحدى خصلات شعرها لاحت من طرف حجابها، حرصت على مواراتها بحركة داسّة من اصبع يدها. استماحها أن تجلس.

.تذكّر استدعى ميري

- أعدّي فنجان قهوة!

:حدد طلبه

- واحدا!

:تراها تستدعي فاطمة. تطلب منها.. إيمان لم تفعل. كانت نهباً لإحساسها بالتوقّع. رجته

- ليتك توضّح!

تجنّبا للتلميح، ذهاباً - رأساً - للتصريح. قال لها.. يودّ الاختلاء بها. تراها أدركت قصده؟!.. إنتابت صوتها رعشة خفيّة.

:راوغته

- نحن مختليان هنا!

:قال

- خلوة زوجية.. شرعيّة.

.عصف بها اضطرابها

- لعلّك لا تدري..

:جهدها لكظم غيضها. صمتت ثانيتن. استطردت

- سبق لي.. آليت على نفسي..

:قاطعها

- ليكن في عملها أنّه آلى على نفسه، بدوره..

:ترك جملته معلّقة برهة، رآها تحبس أنفاسها خلالها دلالة استثارتها. أكمل

- سيأتيها بورقة طلاقها، غداً صباحا ..

:انطعن وجهها بدمائها. لم يعرف ان كان ذلك جرّاء ردّ فعل بعدم تقبّل الفكرة، أو بسبب مفاجأة التوقيت. قالت

- مضى شهر من مهلة الشهرين!

ذكّرها:

- فيما يخصّه.. سبق أنْ طلب شهراً واحدا..

كانت محاصرة بحيرتها أو تشتت ذهنها. قال:

- هو عند وعده.

قال:

- لكي ينفّذ وعده.. يجدر بها الامتثال لطلب الخلوة.

قال:

- الآن.

واجهها بعينيها. قال:

- وبعكسه ستكون مهلة الشهرين لاغية.

عضّت على نواجذها. قال:

- عليها - في حالة رفضه - أنْ تلجأ إلى القضاء.

خوفها أو قلقها. دموعها انبجست في عينيها.

«إيمان التي يعرفها»

للحظة عابرة هفا فيه قلبه. غافله أو أغفله. قال:

- لعلّها تدري أن اللجوء إلى القضاء باحتمال صدور حكم النشاز بحقّها.

الحق.. ضياعه من التشهير به. قال:

- النشاز.. يعني سبع سنوات عزلة.. ثمّ يصار إلى إعادة النظر بأمر الطلاق. لم يقل لها ما معناه:
- منذ كم.. ولا خلوة.

لم يقل لها:

- هو الحبيب أولاً.. الزوج ثانيا.

لم يقل:

- الحب.. لمّا يعاني الحرمان القسري ينعجن بالحقد.. يفرز دمّلاً.. ردّ اعتبار.

لم تقل له ما مفاده:

- شخصيتك هذه غريبة علي!

لم تقل له:

- أنت تنقل خبرتك المهنيّة - المساومة أو المناورة - إلى الجسد.

لم تقل:

- آسفة.. افعل ما شئت.

قالت:

- أيّا كان.. أنت مازلت زوجي.

كلماتها تضمن موافقتها. هبّ واقفاً. نظرته مندهشة:

- القهوة التي طلبتها!

قال:

- الأمر المطلوب لن يستغرق وقتاً.. بضع دقائق.. يعود بعدها لقهوته.

بدرت عنها زفرة حيرة. هبّت واقفة أيضا.

«الأمر الواقع يأخذ مسلكه الاعتيادي»

سبقته نحو غرفة الزوجيّة بعدما آلت الأخيرة غرفته وحده.

«الحب اتجاه جبري»

سريرهما كبير ما فيه الكفاية. جلست على الطرف منه. ركّز نظراته على حجابها.

«استحالة الجمع»

فهمت قصده. ترددت برهة. نزعت حجابها. شعرها - كما رآه لحظتها - منزوع الحيويّة.

«مسافة زمن»

الحب حالة امتلاك كلّي لا تقبل التجزئة.. شعرها - بالراهنيّة التي يراه بها - لا يخصّه.

- ماذا تنتظر؟!

اكتفى حدّق في قميصها محكم الإغلاق حتّى رقبتها.

- هل من الضروري أن..

اكتفى أومأ برأسه دلالة الإيجاب. ترددت لثوان.

«!؟كيف تفكّر»
.رفعت يدها لعند صدرها. بدأت تعالج الزرار الأعلى لقميصها. لاحظ اضطراب أناملها. أظافرها.. لم تعد تعن بطلائها
«الزهد امتلاء للجوهر»
.زرار أوّل. زرار ثان. بدءاً بالثالث أصدرت زفرة ضيق. سلبيّته بصفته الرجل الواقف أمامها
«!!دور المراقب»
:رفعت وجهها إليه. عيناها في عينيه. رددت سؤالها ثانية
!؟ماذا تنتظر -
.صوتها بحّة إغواء أنثى مغلوبة على أمرها
«إيمان.. حبّ لا يعرف الحدود»
:تجاوز لحظة ضعفه تجاهه. قال
!لزوم الثياب.. كافّة -
:ارتجّ فيها وعيها. تأمّلت اشتراطه. غمغمت
!!لا أدري -
:ظل صامتاً. دور المراقب.. وهي تشرع بالاستجابة نوّهت باحتجاج مستضعف
!!هذا إذلال -
لم يقصد الإساءة، لكنها دخيلته وقد خرجت عن سيطرته. أطلق ضحكة لا معنى لها. التمت إيمان على نفسها مستوفزة كما
.الدفاع العفوي
!؟ماذا -
:قال لها
.يكفيه تثمين الجهد -
.صوته لا يحمل أثراً لضغينته. لا شيء مما كان يحلم به يستحق تضحيتها
:لدى انسحابه من أمامها قال لها -
.وعد الغد واجب السداد
á á á
في الطريق - سماءً - إلى برلين. الإرتفاع - حسبما أفاد قائد طائرتهم - ثلاثون ألف قدم. مقصورة ركّاب درجة أولى تنعم
.بهدوء يبعث على النعاس. زمن الإقلاع منذ نصف ساعة
«الإقلاع بمعنى مراوغ»
.إيمان - إصرار لا يقبل الأخذ والرد - أقلعت خارج حياتك، وأنت - عقاباً ذاتياً لك - أقلعت من يومها عن التدخين
«الإقلاع بالإحالة إلى ارتباطه.. إزماع»
.وحدتك ما بعد إيمان.. أزمعت أن تبدأ حياة جديدة مع إنسانة بديل. خامس سنة، ولم تفعل
!!اخرس -
.تداعيات الذهن - بصفتها رديفاً للتذكّر - يجب أن تكون محكومة بالمنطق
«أنا المحكوم بالمراوحة»
..احتراف السياسة يعني إتقان لعبة المساومة أو المراوغة. يعني محاولة إمساك العصا من
!!اخرس -
.خرست أم لم.. الأمر المتفق عليه فيما بينكما - دخيلتك وأنت - أنّ الحرقة المزمنة في القلب مترتّبة عن فداحة الخسارة
.تميل برأسك ناحية نافذة طائرتهم. جبهتك تلامس زجاجها. تحسّ بالبرودة تلسع جبهتك
«الخارج.. تحت الصفر»
.تحدّق هناك
«على مسافة من غيومهم.. فوقها قليلا»
.غيومهم - هنا - رماديّة ضاربة للسواد، رغم ذلك تراها بحواش لامعة، تشعّ لوناً ذهبيّاً براقاً، جراء إحاطتها بأشعة الشمس
«تجزم. تمطر. أسفل»
لا تتذكّر يومكما الماطر، أنت وإيمان، في جزيرة فيلكا، ما قبل المكاشفة بالحب.. حركة ما طارئة.. تلتفت. ترى شاباً عملاق
.القامة رياضي الجسد أنيق الملبس
«..نسخة عن الجالس في الجوار»

الشاب يقترب قادماً من ناحية مقصورة ركّاب الدرجة السياحيّة. يقف عند الشاب الأوّل. ينحني عليه. يهمس بما لا تسمع. راودك حدسك.

«شيء ما بالغ الأهميّة أو الخطورة»

بادر الجالس سحب إليه حقيبته السمسونايت. وضعها فوق ركبتيه. فتحها.

«!إحتمال إبرام صفقة فضائية»

فضولك لم يُشبع. الجسد الضخم الشاب المنحني يحجب مجال رؤيتك. تناهى لاذنيك صوت معدني مكتوم.

«أشبه بتلقيم سلاح»

الحدس يأخذ إلى التوقّع، والتوقّع..

«يحدث في أفلام الأكشن الأمريكيّة»

أعملت ذهنك وهلة.

«تحريّاتهم. إجراءاتهم المعقّدة.. مطار أثينا»

صدى كلمات سالم يتردد داخل رأسك:

«أغلب الظن.. عملية إرهابية موشكة .. -»

برلين - وهذا أمر لا تجزم به - ليست خالية من أبراج تجارة عالمية.

«..وجه المفارقة.. كيف سيكون ردّ فعل إيمان لو عرفت بمصادفة وجودك على متن طائرة»

غاب عنك أنْ تنهر نفسك:

- اخرس!

موسيقاهم الكلاسيكية تتردد في الخلفيّة من أذنيك. الشاب الذي سدّ عليك مجال الرؤية أنهى حديثه الهامس، إنفلت عائداً لمقصورة ركّاب الدرجة السياحيّة، لحظة انصرافه أشار بيده لرفيقه بما يفيد:

«سأكون في المؤخّرة -»

الألمان الأربعة، شاغلو مقاعد الصف الخلفي، يسترخون مُسبلين جفونهم.

«يغفون.. ربّما»

تطلّعت ناحية جارك.. رأيته يدسّ حقيبته السمسونايت تحت مقعده. لاحظت انتفاخاً في الجانب الأيسر من جاكيتته عند مستوى الحزام.

«مسدس.. ربّما»

عيناكما التقتا. تجزم، أو تكاد..

«نظرة تواطؤ»

تذكّرت نظرة تبادلتها مع الرجل المضمّخ برائحة المسك.. لمّا مطار أثينا.

«أنا وأنت جلدة واحدة»

في الوقت ذاته تترسخّك قناعتك:

«لا مجال لمقارنة»

انشغل الشاب يعدّل من وضع ياقة قميصه. شيء ما أشبه برأس دبوس. يبرز من فتحة القميص أسفل الذقن. يتصل بسلك رهيف غير منظور حتّى صيوان أذنه.

«!؟اتصال بمن»

القلق الذي بدأ ينتابك ذو طبيعة لاهثة أو لاهفة، صرت كمن يرى نفسه.. مسافة زمن - تطول أو تقصر - من حدث جسيم داهم.. هل تسلّم لتخرّصاتك عابراً إلى إستنتاجاتك:

«أنا أحد ركاب طائرة قيد الخطف أو التفجير»

تخالس الشاب نظرك. كان قد عمد لإضاءة إشارة طلب الخدمة. سارعت المضيفة بالاقتراب.

- نعم سيّدي؟

- مجلّة نيوز ويك!

- حالا!

غابت لثوان، عادت بالمجلّة المطلوبة. سلّمتها له. نشر مجلّته أمام وجهه.

«يقرأ منها.. أو يتدارى بها»

منذ انتشار عمليات خطف الطائرات لدوافع سياسية أو لأسباب غامضة، عمدت شركات الطيران أو الدول المالكة لتعزيز الأمن.. جوّاً. الإسلاميون الجهاديون.. صدر الأحداث.. الحادي عشر سبتمبر..

«..الشاب الدافن وجهه - نيوز ويك - أمن طائرة؟!.. أم»
..لمّا طائرة الركاب الكويتيّة كاظمة.. قبل كمّ من السنوات.. خاطفوها لا يمتّون إلى دعاة قيام دولة الخلافة
.ماذا لو بادرت أضأت إشارة طلب الخدمة. ناديت كبير المضيفين، أو قائد الطائرة. حددت بإشارة من يدك
!هذا الشاب يحمل سلاحا -
:أو أعدت صياغة جملتك
!هذا الشاب - إنْ لم يكن أحد رجال أمن الطائرة - فهو يحمل سلاحا -
:يقف خيالك عائداً على أدراجه، متريّثاً عند احتمال وارد جدّا
«!!لو لم يكن سلاحا»
.الإحراج المترتّب. إساءة موجّهة لراكب لم يؤذ حشرة، ناهيك عن شعور متوقّع بالدونية إزاء آخرين حاضرين
«عربي وحيد وسط أغراب.. عالم أوّل»
تتناهى إليك غمغمات خافتة قادمة من ناحية مقعد الشاب. ليست قراءة صفحة مجلّة بصوت مسموع. هناك لحظات صمت، لا
..بُدّ ان تكون إصغاءً، تعقبها غمغمات، ثم صمت، ثم
«تبادل حديث مع ثان في مكان ما من الطائرة أو خارجها»
تحتشد في أذنيك. بعض المفردات الألمانية قريبة من الإنجليزية. تسنح لك فرصة تمييز كلمة تعني الرقم اثنين، والتقاط
.أخرى تلامس معنى الاستعداد أو التأهّب. حيّرتك بنزوعها إلى القلق
«..ما الذي يمكن أن»
ترى الشاب يتململ في جلسته، حركته دالّة على توتّره. يلتفت إلى وراء، حيث الستارة الحاجزة عن المقصورة السياحية.
.تسمع صيحة ذعر نسائية صادرة عن هناك. أعقبتها - مباشرة - صرخات حاشدة
«!!ركاب الهناك كلّهم»
ذهنك يعجز عن تصور ما يحدث في الخلف. أثار استغرابك - أشدّه - بقاء الشاب، إيّاه - مشدوداً إلى كرسيه، مبقياً مجلّته
.بين يديه. ركاب مقاعد الصف الخلفي لووا أعناقهم فزعين مشدوهين. الطائرة كيان كلّي معلّق. الحدث الجلل.. هناك أو هنا
«مفارقة أنْ تراود ذهن الواحد فكرة الهرب»
ثوان معدودة.. عمر زمن نوعي، منذ أن تناهت اليك صرخة ذعر أولى، سمعت الشاب يردد بصوت هامس مضمناً
:تصميما
!جاهز -
مجلّته باقية عنده، صيحات فزع ركاب الدرجة السياحيّة باقية تتواتر. أُزيحت الستارة الفاصلة بحركة عنيفة، ظهر رجل
.عملاق القامة ضخم المنكبين ذو سحنة معروقة جهمة
«!!الرائحة العطرية»
.لحيته قصيرة مشذّبة. إحدى يديه تقبض على سكين. الأخرى تحضن شيئاً كروياً أخضر اللون بحجم ثمرة رمّان
:رائحة المسك المصاحبة لحضوره تضوّع المكان. رفع صوته آمراً بانجليزية ركيكة
!لا أحد يتحرّك -
:لم يتحرّك أيّ من.. من جانبه لوّح بيده الحاملة للجسم الأخضر. تابع مزمجرا
!!معي قنبلة -
إحدى المضيفات تقف مذهولة في الفسحة المخصصة للخدمة. حدد الرجل بصره ما وراء كتفيها حيث باب قمرة قيادة
:الطائرة. نفخ صدره. أطلق - بالعربية - صيحة قتالية
!الله أكبر -
.الشاب يضع مجلته جانباً، في حين انفلت الرجل المقتحم راكضاً نحو مقصده
..وما النصر -
«..يحدث.. ليس في أفلام الأكشن الأمريكية»
لدى تخطّيه صفّ المقاعد الخلفي.. إزماعه اجتياز الصف الأمامي غافله الشاب مدّ قدمه. الحركة غير المتوقعة لدى الآخر.
تعثّرت خطوته، فَقَدَ توازنه. تطوّح جسده، قبل أن يتهاوى منكباً وجهاً. ندت عن المضيفة - التي مازالت نهب ذهولها - صيحة
:مفاجأة خافتة
!!يا إلهي -
.في التو قفز الشاب من مقعده. برك فوق جسد الرجل. يده تحمل مسدساً غريب الشكل
«!؟متى استلّه من حزامه»
.وضع فوهة المسدس عند مركز اتصال رأس الرجل برقبته. اطبق بيده الثانية على الكفّ الحاضنة للرمانة

«!!اطلاقة واحدة»

.سمعت ما يشبه صوت سقوط حجر في ماء ساكن. انتفض الجسد الضخم دون ان يصدر نأمة. سكن بعدها

«الإنسان كائن هش»

:انتزع الشاب الرمانة من اليد الهامدة. تفحصّها لثانية واحدة. غمغم بكلمة ما في مكرفونه الدقيق. تظنه قال

- تم؟!

.خفت الضجيج الآتي من الدرجة السياحيّة فجأة. التقطت أذناك - للمرة الثانية - ما يشبه سقوط حجر في ماء ساكن

«!إطلاقهم هناك»

:تعالى ضجيج الركّاب هناك من جديد.. قاطعه صوت جهوري لقائد الطائرة. تردد صارماً في الأرجاء

- الرجاء من السادّة الركاب ملازمة مقاعدهم وتحلّيهم بالصبر!

:صمت قصير جدّاً. تابع

- مثلما شاهدتم.. استطعنا إحباط عمليّة إرهابية.

.صمت قصير آخر

- نعلمكم.. أننا سنصل مطار برلين في الموعد المقرر.

«كلماتهم معدودة»

.سمعت هتافات احتفاء. أعقبها دخول مسؤول أمن الطائرة يقود رجلاً بملامح شرق أوسطيّة، مقيّد اليدين من خلاف

«!الرائحة النفّاذة أيضا؟»

.كان بلحية مدببة وشارب محفوف. رأيت دماءً تنزف من نقطة إتصال ذراعه بكتفه

«إصابة مباشرة»

.أحدكما - هو أو أنت - خطف نظرة للثاني

«جلدة واحدة»

.نفضت رأسك كمن ينفي تهمة. تنبّهت إلى أنّ عينيه خرزيتان

«!؟من أين تأتي الإحالة»

.زمنك ذاك.. بعدما فكّ واحدكما - إيمان أو أنت - ارتباطه بصاحبه، التقيت - مصادفة - برجل من أبناء عمومتها

«حسبة صديق»

:تبادل للتحايا وسؤال عن الأحوال، اغتنمت سانحتك. توجّهت إليه مدارياً لهفتك أو فضولك

- أخبار إيمان؟!

:أجابك بكلمة واحدة

.تنقّبت

.احتفظت لنفسك باستغرابك

«!ما كان غير وارد صار واقعا؟»

.مناسبات تواجدك.. أماكن عامّة.. طفقت - بفعل غير مدرك - تتطلّع إلى العيون النسائية وراء النقاب

«إيمان.. ربّما»

.الطائر لمّا يرف في الصدر. شهيقك لمّا تحتفظ به لثوان. محاولاتك باءت بنظرات خرزية

مؤلفاتإسماعيل فهد إسماعيل

أولاً: الروايات

1- كانت السماء زرقاء
2- المستنقعات الضوئية
3- الحبل
4- الضفاف الأخرى
5- 67 ملف الحادثة
6- الشياح
7- الطيور والأصدقاء
8- خطوة في الحلم
9- النيل يجري شمالاً: البدايات
10- النيل يجري شمالاً: النواطير
11- النيل/الطعم والرائحة
12- إحداثيات زمن العزلة: الشمس في برج الحوت - كتاب أول
13- إحداثيات زمن العزلة: الحياة وجه آخر - كتاب ثان
14- إحداثيات زمن العزلة: قيد الأشياء - كتاب ثالث
15- إحداثيات زمن العزلة: دوائر الاستحالة - كتاب رابع
16- إحداثيات زمن العزلة: ذاكرة الحضور - كتاب خامس
17- إحداثيات زمن العزلة: الاابابيليون - كتاب سادس
18- إحداثيات زمن العزلة: العصف - كتاب سابع
19- يحدث أمس
20- بعيداً إلى هنا
21- سماء نائية
22- الكائن الظل
23- (عندما اسمك في طريق ورأسك في طريق أخرى (بالاشتباك مع شعر قاسم حداد
24- مسك..

ثانياً: قصص ومسرحيات

25- البقعة الداكنة: مجموعة قصص
26- الأقفاص واللغة المشتركة: مجموعة قصص
27- النص: مسرحية
28- للحدث بقية: مسرحية
29- مالا يراه نائم: مجموعة قصص

ثالثاً: دراسات

30- القصة العربية في الكويت
31- الفعل والنقيض في أوديب سوفو كل
32- الكلمة الفعل في مسرح سعد الله ونوس
33- علي السبتي .. شاعر في الهواء الطلق
34- مبدعون مغايرون .. كتابات مغامرة
35- ما تعلمته الشجرة.. مجتزأ من سيرة ليلى العثمان

انتهى